صباح السالم الصباح..
القيادة بروح الجماعة

الغرسة 91
نوفمبر - ديسمبر 2017

الهوية
ALHAWIYA

أكاديمية مكتب الشهيد تستنبت الإبداع

أسرار.. حفيدة الصحراء

الهوية ONLIFE

«عدجو».. الموت المتدحرج

الهوية والاغتراب

ISSN: 1728 - 5135

الديوان الأميري
مكتب الشهيد

الهوية

مجلة دورية تُعنى بتأصيل الهوية الوطنية

الغرسة 91
نوفمبر - ديسمبر 2017
تصدر عن الديوان الأميري - مكتب الشهيد
دولة الكويت

بصمتنا 4

السور الرابع 16

من شهداء العروبة 20

من شهداء الإسلام 24

من رموز الحرية 28

رئيسة التحرير
فاطمة أحمد الأمير

مديرة التحرير
فايزة مانع المانع

سكرتير التحرير
عماد منصور المنصور

المراسلات باسم رئيس التحرير
مكتب الشهيد - الديوان الأميري
ضاحية مبارك العبدالله - قطعة ٧ - شارع ٥
ص.ب: ٢٨٧١٧ الصفاة ١٣١٥٨ دولة الكويت
بدالة: ١٨٨٨١٠١ - داخلي : ٣٠٨٤
مباشر : ٢٥٣٧٢٠٨٤
فاكس: ٢٥٣٧٥٤٨٩
www.martyr.com.kw

إخراج وتنفيذ وطباعة
النظائر
AL-NAZAER

«حديقة الشهيد»
إحدى الصور الفائزة
في مسابقة التصوير الفوتوغرافي

مؤتمر 6

مسرح 35

متابعة 12

مدارات 38

آفـــاق 32

قراءة 42

قاموس الهوية 62

كلمات خالدة

"واجبنا جميعا الحرص على وحدتنا الوطنية وصيانتها وتعزيزها، فهي عماد الجبهة الداخلية ودرعها الواقي وسورها الحامي."

"قد تختلف مشاربنا وتتنوع أصولنا وتتعدد طوائفنا ولكن الوطن والولاء والانتماء واحد هو الكويت."

سمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح
- حفظه الله ورعاه -
من خطاب سموه في افتتاح دور الانعقاد الثاني لمجلس الأمة

بقلم : فايزة مانع المانع
fayzaalmane@yahoo.com

ثقافة السلام

«قد لا تشتعل الحروب لعدة عقود، وربما لعدة قرون ومع ذلك تبقى دول العالم دوما على أهبة الاستعداد لها»

ليس هناك مفتاحٌ سحريٌ للحضارات يعادل السلام والاستقرار وشيوع الأمن والأمان، وليس هناك باب أسود ينفث الدخان والرماد كباب الحرب تلك التي اعتبرها بعض المفكرين أقدم من الحضارة أو مضخة التاريخ الدموية كما يقال، حيث تظل المعارك الكبرى فاقعة في التاريخ الإنساني، لا تكف عن توليد المعاني والعِبر، وحتى لو كانت الحروب عادلة لكنها تبقى مؤشرا على صراع وتحد إرادات تأتي على الاستقرار وتلتهم الشباب وتعطل مسارات الحياة، وتوقف النمو الحضاري المأمول، وذلك ينطبق على الحروب بأنواعها وإن بدرجات متفاوتة فالحروب العسكرية والحروب الإعلامية والحروب الاقتصادية جميعها في النهاية يَصُبُّ في مجرى اضطراب المجتمع وهدر طاقاته وإمكانياته وقواه الخلاقة ودلالة مؤلمة على التراجع وتفتيت القوى.

إن ثقافة السلام هي اللافتة التي يجب التطلع نحوها فهي ما تشيع الاطمئنان والاستقرار والأمن في المجتمعات وهي ضمانة المستقبل للأجيال وللتنمية والبناء وإعمار المكان وزرع الأشجار وقطف الثمار وتعليم الأطفال ونشر بذار المحبة في كل الأركان، فثقافة السلام ثقافة حياة وثقافة إنتاج ولا تعني بالضرورة ثقافة خنوع واستسلام مهما كان حجم التحدي ودرجة الخطر، وثقافة السلام تنطوي في الجوهر على معاني التآلف والتساكن والقبول والتحاور، إن العالم اليوم وهو يعيش انفتاحه وتدفق معلوماته معني بتأصيل ثقافة السلام أكثر من أي شيء آخر، فلا معنى إذاً للتعارف ولا معنى للتواصل ولا معنى للانفتاح على الآخر إن لم يؤد لتعزيز الإدراك وبلورة الوعي حول أهمية التعايش السلمي ذلك المصطلح الذهبي الذي تعود جذوره إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر حيث ورد لأول مرة في كتاب «كلاوسويتز» «في الحرب» وكان «لينين» هو أول من وضعه موضع التطبيق إبان احتدام الحرب العالمية الأولى العام 1915 وكان يعتبرُ كلاوسويتز أعظم مفكر في فلسفة الحرب وتاريخها حتى أن منظري الاستراتيجية النووية أو«استراتيجية الردع» بحسب طارق رضوان في كتابه «التعايش السلمي، روحه وسلوكه» - كانوا يستشهدون به ليدعموا مفهومهم في «معادلة القوى» وهي المعادلة التي مهدت لولادة مصطلح التعايش السلمي وما يحمله من مجابهة بين استراتيجيتين في زمن واحد وأصبح هذا المصطلح البراق علامة فارقة في أدبيات العلاقات الدولية والعلوم السياسية وذلك منذ العام 1946 إثر الحرب العالمية الثانية، فالعمل على إشاعة هذه المفاهيم هو الوسيلة المثلى لمواجهة التطرّف ولجم قعقعة السلاح.

إن جسور الثقافة غالبا ما تكون معبدّة بالفهم والتفهم وتُجلي أجمل ما في الإنسان وتستخرج أنقى ما فيه تلك الروح المقدسة التي أودعها الخالق جلّ وعلا في مخلوقاته والموكولين بتزكيتها

للخير، والسمو بها للنفع، والارتفاع بها عن مستنقعات الصراع والاحتراب لتتفتح آفاقها الرحبة لتحتفي بالكلمة الطيبة تلك التي جذرها ثابت وفرعها في السماء فتزهر حقول الأدب والشعر والفن والجمال والخلق والإبداع، إن الثقافة بما هي علو وسمو درع واقٍ في وجه النزاع والقتال ومجال خصب يجمع ولا يفرق ويصل ولا يقطع ويمنح ولا يمنع ،ولأنها المجال الأرحب الذي يتفق حوله البشر ليتطهروا بنورها حيث يشع الألق على النفوس فيغسلها من أدران الفرقة والتشتت والتنازع، ويتيح لها الارتفاع إلى ذرى عالية في إنسانيتها تصد بها التوحش والهمجية، والتي غالبا تترك آثارها المدمرة على كل ما أبدعه الإنسان في مسيرته التاريخية.

إن الثقافة تلك التي تزدهي في مناخات السلام لا تقتصر على مجتمع دون آخر ولا على طبقة دون أُخرى ولا يختص بها عرق ويحرم منها آخر بل هي مشاركة عامة يستفيد منها الكل وميراث مجتمعي يجذِّر المجتمع ويؤكد هويته وحتى مع الاختلافات العرقية والإثنية يظل هذا الميراث الثقافي الدلالة والضمانة على رسوخ المجتمعات وسلامها الداخلي، وهذا يتطلب حرصا على الأمن والأمان الداخلي ذلك الذي لا يقل أهمية عن الأمن الخارجي بل قد يتفوق عليه ويتعداه، فالضرر في الاحتراب الداخلي يوهن المجتمعات ويقوض أركانها وسيبعثر ملكاتها وطاقاتها وقد يقودها في النهاية إلى انهيار الأوطان عندما يسود العنف ويبدأ التشرد فَتُهجر الأوطان إلى حيث الاغتراب والضياع وتجرع ذُل الغربة.

إن التطرّف والإرهاب والعنف عبر الزمن من ثوابت التاريخ فلا تكاد تخلو مرحلة تاريخية من هذه الظواهر فسجل الذاكرة البشرية يطفح بالطغاة والمهووسين بالقوة والمتطلعين للهيمنة والحالمين بالنفوذ مشرعين لأنفسهم شتى السُبُل لتنفيذ خططهم ومشاريعهم سواء أخلاقية أو لا أخلاقية في تجاوز للقيم الإنسانية النبيلة والشرائع السماوية السامية متوهمين أن المجد تصنعه الخديعة والمكر والاحتيال وزرع الفتن وإثارة الزوابع متناسين أن من يزرع الريح لا يحصد سوى العاصفة.

إن خبرات التاريخ المتراكمة تؤكد أن حرائق الحروب غالبا يطفؤها تبادل المنافع والمصالح وإعلاء المشتركات وتؤكد في الوقت نفسه أن التدافع عملية خلاقة وأنه مهما بلغت درجة التماهي أو درجة التباين فإنها يجب ألا تكون على حساب الجوهر الأصيل حيث يثبت ما هو عصيّ على الاقتلاع فمن ينازعك جذورك كمن ينازعك وجودك عندئذ تصبح العبارة العميقة كلما تراجع الوجود الحيّ تقدم العدم القاتل هي الفيصل، مستهينة بكل ثقافة وبكل سلام وبكل قيم نبيلة ولا يبقى سوى الخراب لتعود البشرية بعد كل دمار رافعة راية السلام حلم البشرية وسعيها الدائم عبر العصور.

صباح السالم الصباح
القيادة بروح الجماعة

عبدالله المرشد

استذكرت الكويت في أكتوبر الماضي ذكرى أمير البلاد الراحل الشيخ صباح السالم الصباح - طيب الله ثراه - في مؤتمر خاص نظمته كلية الآداب في جامعة الكويت ورعاه معالي وزير شؤون الديوان الأميري الشيخ ناصر صباح الأحمد الصباح.

والمؤتمر الذي عقد تحت عنوان «عصر الشيخ صباح السالم الصباح 1965-1977» استهدف تسليط الضوء على إنجازات أحد حكام الكويت البارزين وإبراز إسهاماته الجليلة في بناء كويت الحاضر ، وذلك عبر ثلاث جلسات تناولت الإنجازات الحضارية والعطاء الإنساني في عهد المغفور له إلى جانب التعليم والعلاقات الدولية في عهده وما تركه من بصمات واضحة في ذلك المجال.

ناصر صباح الأحمد:
سماحة شخصيته تجلت في عبارته الخالدة أنا وشعبي كل أبونا جماعة

وقال وزير شؤون الديوان الأميري في كلمته في المؤتمر إنه كانت للمغفور له - بإذن الله تعالى- الشيخ صباح السالم الصباح إسهامات كبيرة في حل الخلافات والأزمات السياسية عربيا وإقليميا، منوها بمواقف الكويت الإنسانية في عهده.

وأضاف الشيخ ناصر صباح الأحمد الصباح أن الكويت كانت الدولة الوحيدة التي خصصت 6% من دخلها القومي لمساعدة المحتاجين في العالم، وهذا أبرز عمل إنساني يبين شخصية المغفور له.

وأوضح أن شخصية المغفور له بإذن الله غير الرسمية تتميز بالسماحة وتتلخص في مقولته المشهورة «أنا وشعبي كل ابونا جماعة»، حيث إنه كان يسعى إلى الاهتمام بشعبه وتلبية مطالبهم وتوفير سبل العيش الرغيد للنهوض بالكويت.

وكان لمدير جامعة الكويت الدكتور حسين الأنصاري كلمة رحب فيها في البداية بالحضور الكريم وبالضيوف من دول مجلس التعاون الخليجي، متوجها بالشكر الجزيل وخالص التقدير والعرفان لراعي المؤتمر وإلى الشيخة حصة صباح السالم كريمة سمو الأمير الراحل، طيب الله ثراه، الشيخ صباح السالم المحتفى بذكراه في المؤتمر.

وقال الأنصاري إن الوجود التاريخي لأي أمة أو أي شعب لا يتحقق بمجرد أنه كان يعيش في حقبة من الزمن، فكم من أمم وشعوب وجدت ثم بادت دون أن تترك علامة ذات قيمة باقية تدل عليها، مؤكدا على

جولة بين سجلات التاريخ

د. حسين الأنصاري: كان مثالا للحاكم الأب لقربه من شعبه وتفاعله معهم

افتتاح جامعة الكويت العام ١٩٦٦، ومرابطة كتيبة من الجيش الكويتي على شاطئ قناة السويس، وحادثة الصامتة أبرز الأحداث في عهده

ضرورة الاحتفاء بذكرى سمو الأمير الراحل الذي ترك في ذاكرة الوطن سيرة عطرة حافلة بالإنجازات التي يطول ذكرها على الصعيد السياسي والتعليمي والاجتماعي والاقتصادي والعلاقات الدولية المفعمة بالود والإخاء بين الدول.

وأضاف أنه من خلال تلك العلاقات أثبتت الكويت مكانتها ورسخت دورها ودعائم هويتها عربيا وعالميا، مضيفا أن الفقيد، طيب الله ثراه، كان في حياته إنسانا قبل أن يكون حاكما أحبه الشعب الكويتي لسماحته وتواضعه، وتلاحمه وتفاعله مع شعبه وكان قريبا منهم يشعر بهمومهم ويلبي احتياجاتهم، فكان مثال الأب والحاكم.

وأفاد بأن جامعة الكويت تجسد أهم إنجازات عصر المغفور له بإذن الله تعالى، إذ أصدر مرسوما أميريا بإنشاء جامعة الكويت، لافتا إلى أنها بادرة طيبة تركت أثرا بالغا في نفوس العاملين في جامعة الكويت لذا نشعر ونحن في جامعة الكويت بأننا نحمل في وجداننا شعورا خاصا وفي قلوبنا محبة وتقديراً كبيرين لأميرنا الراحل الشيخ صباح السالم الصباح رحمه الله.

وقال الدكتور الأنصاري إن المؤتمر يعد فريدا من نوعه في ترسيخ شخصية المغفور له وإظهار الإنجازات التي تمت في عهده في مختلف النواحي، وذلك من خلال البحوث والمحاضرات والمعرض الثري المصاحب للمؤتمر والذي يحتوي على الكتب والمطبوعات والوثائق والصور التاريخية التي تحيي ذكرى الراحل الكبير وتصف إنجازاته بتوثيق وتحليل علمي وموضوعي دقيق لفترة شهدت على مدار اثني عشر عاما نماء ورخاء وتقدما وحركة بناء شملت كل المجالات، لتكون هذه الذكرى ملهمة لمزيد من العطاء والبناء والعمل الجاد للكويت.

وأفاد بأن المؤتمر يحقق الأهداف المرجوة بالتواصل مع المجتمع لتوثيق الأحداث والمناسبات التي رفعت قدر الوطن ومكانته الحضارية بين الأمم، لافتا إلى أنها لمسة وفاء وتقدير لقائد من عظماء القادة في هذا الوطن العزيز والعالم

عبق التاريخ المبهج

أفراح المفلح ومشاركة مميز

العربي وبين الأمم التي تدعو للسلام والإخاء والتنمية.

معرض وجلسات

أما عميدة كلية الآداب في جامعة الكويت الدكتورة سعاد عبدالوهاب فقالت في كلمتها إن المؤتمر يهدف من خلال الجلسات والمعرض المصاحب له إلى تسليط الضوء على إنجازات عهد المغفور له الشيخ صباح السالم الصباح لإبراز إسهاماته الجليلة في بناء كويت الحاضر.

وأشارت إلى أهم قرارين استراتيجيين اتخذهما الشيخ صباح السالم في عهده أولهما كان إنشاء جامعة الكويت عام 1966 مسجلا سموه تطلعاته التي أرادها لمستقبل أبناء الوطن للتزود من العلم والمعرفة من خلال كلمته التاريخية يوم افتتاح الجامعة بقوله: «أفتتح جامعة الكويت صرحا شامخا تزود فيه هامة التعليم في بلادنا وحصنا راسخا ذخيرته العلم والبحث العلمي يحمي به نهضتنا ويقيها عوامل التخلف أو الجمود بل ونصعد بها سلم المجد ودرجة العلم درجة بعد درجة على دعائم قوية من عقول وسواعد».

وأضافت أن القرار الإستراتيجي الثاني كان إرسال إحدى الكتائب المدرعة من الجيش الكويتي لترابط على شاطئ قناة السويس عام 1967 عقب إعلان الرئيس المصري الراحل جمال عبدالناصر إغلاق الممرات المائية في وجه الملاحة الإسرائيلية تأكيدا على انتماء الكويت العربي وإعلانا عن إيمانها بالحق الفلسطيني والدفاع عنه.

من جانبه، أكد رئيس قسم التاريخ في كلية الآداب الدكتور عبدالله الهاجري أن التاريخ هو مرآة الأمم التي تسعى إلى ترجمة أمجاد ماضيها وصناعة تطور مستقبلها.

وقال إن قسم التاريخ يحمل مسؤولية المحافظة على تاريخ الكويت وتوصيل إنجازاته إلى أبنائنا الطلبة، مؤكدا أن تاريخ نهضة الكويت زاخر بالإنجازات منذ تولي الشيخ صباح الأول مقاليد الحكم وما شهدته الكويت من رخاء على مر العصور.

وأعرب عن فخره بانتمائه إلى جامعة الكويت التي أسسها المغفور له الشيخ صباح السالم وعصره الذي تميز بالرخاء والعطاء إلى جانب الاهتمام بالعلم والعلماء الذي ساهم في بناء كويت الحاضر.

المغفور له في إحدى زياراته الخارجية

جلسات وأبحاث

قرارات تاريخية

شهد برنامج المؤتمر 3 جلسات، تطرقت الأولى إلى القرارات التاريخية التي اتخذها سموه، وشاركت فيها الدكتورة ميمونة الصباح التي تناولت الإنجازات الحضارية والعطاء الإنساني للأمير الراحل، وأبرز ما قدمه من قرارات حكيمة ساهمت في تطور الكويت وازدهارها.

وشارك في الجلسة الدكتور عبدالله النجدي متطرقا إلى مسيرة الراحل خلال فترة ولايته للعهد، وفترة ما بين تقاليد المشيخة والدستور ما بين عامي 1965 و1977، إضافة إلى مشاركة الدكتور أحمد القناعي التي تطرقت إلى التعليم في عهد سموه، وما قدمه من إنجازات تدل على اهتمامه بالتعلم ونشر العلم والمعرفة لأبناء الكويت وبناتها من أجل المساهمة في تقدم الكويت.

وفي الجلسة الثانية التي كانت بعنوان (مواقف عربية مشهود لها) تطرق الدكتور بنيان التركي إلى العلاقات الكويتية الأفريقية خلال فترة حكم الأمير الراحل، في حين تناول الدكتور موسى الغضبان الفترة التي كان فيها سموه رئيساً للشرطة في الكويت، وشارك الدكتور حمد القحطاني متحدثاً عن موقف سموه رحمه الله من حرب 1967 ضد العدوان الإسرائيلي، فيما بحث الدكتور نور الحبشي في العلاقات السعودية الكويتية في عصر سموه وسنوات حكمه التي امتدت لنحو 12 عاماً.

الشيخة حصة الصباح أثناء الحفل

في الجلسة الثالثة والأخيرة التي عقدت بعنوان (انتعاش اقتصادي ومخاطر إقليمية) تطرق الدكتور عايد الجريد إلى القضايا العربية خلال فترة حكم الشيخ صباح السالم، وما شهدته الدول من أحداث خلال فترة حكم سموه، في حين تناول خالد الخلف أزمة مركز الصامتة الحدودي عام 1973 التي حدثت بين الكويت والعراق، وكيفية تعامل سموه معها بكل حكمة، فيما ناقشت آلاء المنصور انتعاش النشاط الاقتصادي في الكويت خلال فترة حكم سمو الأمير الراحل.

تخصيب منابع الإبداع

بقلم :
فاطمة أحمد الأمير

الوكيل بالديوان الأميري
مدير عام مكتب الشهيد

«خير المطالع تسليم على الشهدا أزكى الصلاة على أرواحهم أبدا»

من عوالمهم الشجية البهية السامية تطلع الأفكار العالية، ومن بين عيونهم وأياديهم وأنفاسهم الزاكية نلتقط الحروف الباسقة والأنغام الشامخة والرؤى النافعة الرائقة، هم هكذا منذ أن بدأنا معهم ونحن نستلهم منهم أجمل المشاريع، ونعدّ معهم ولهم أحلى البرامج وأثرى الخطط ونصوغ معهم كل ما يفيد ويبني ويضيف،

مع ذوي الشهداء من الأبناء والبنات تتزاحم الأماني والتطلعات ونشيد معهم ولهم برامج نأمل أن تساهم في بلورة موهبة أو استنهاض إبداع، أو تعزيز ملكات موعودة ومخبوءة في نفوس أبنائنا وبناتنا من ذوي الشهداء المسجلين في مكتب الشهيد ،

إن المسؤولية التي أُنيطت بِنَا مع الشهداء أنفسهم أولا ومع ذويهم ثانيا منذ أن بدأ المكتب عمله إلى اليوم مما يزيدنا افتخارا وابتهاجا؛ فنحن نفخر بكل ما يؤدي لتأكيد أدوار لأبطال من وطننا الغالي قدموا لنا درسا مهيبا ونبيلا في الكرامة والشهامة ونكران الذات حدّ الفناء في سبيل الأرض والعرض فعلموا التاريخ أن المجد لحظة ثبات ويقين وأن الحب شهقة الروح لحظة التحامها بالأرض، وتركوا بين أيدينا هذا الدرس الثريّ ننهل منه أبد الدهر ونستنبط منه مقامات العزّ ما دام الزمن يسجل بقلمه الأخبار والأحوال، والتاريخ برمته صناعة الحاذقين ممن خلفوا أروع الآثار وطبعوا بصمة تضحيتهم الخاصة على جدران الوجود وليس كالشهداء حذقا وليس كمثلهم عطاءً، وليست كبصمتهم بصمة،

أما ابتهاجنا فهو مع ذوي الشهداء حيث تعتمل النفوس فرحا وغبطة ونحن نتواصل معهم ونتشارك معهم الآمال والأفكار والمشروعات، ونبتكر سويا كل ما يدفعهم للأمام ويساهم في بلورة أحلامهم الخاصة ومواهبهم الشخصية ويساعدهم على تجاوز معاناتهم أو حلّ مشاكلهم وتنمية ملكاتهم فكانت «أكاديمية المبدعين» إحدى ثمرات هذه التطلعات ووسيلتنا العلمية الإبداعية لإنجاز هذه الأهداف وساهمت معنا مؤسسة «قمم» للتطوير والتدريب لتحقيق ما نصبو إليه، فكانت البرامج الإبداعية الخاصة لطلبة الأكاديمية من أبناء الشهداء وذويهم كل حسب ملكاته واحتياجاته، وكانت فترة غنية للتعلم والتدريب والمشاركة والفعالية وتجاوز السلبيات وخلق الأجواء الإيجابية وفي روح المبادرة التي كان لها أبلغ الأثر في نفوس المتدربين والمتدربات وساهمت بشكل كبير في إثراء شخصياتهم وإغناء مواهبهم .

إننا نرى في هذه الوجوه الشابة النضرة المستقبل الواعد والأمل المشرق وخاصة وهم يمثلون الامتداد الحيّ لآباء أو أُمهات أبلوا فأحسنوا البلاء وأعطوا فأجزلوا العطاء وتجذروا في أعماق الأرض ليرتفع الوطن إلى ذرى المجد، هم مصابيح الوطن وأنواره، ومعهم وبهم وعلى إيقاع خطو تضحيات ذويهم العظيمة نبني المشاريع العظيمة ونحلّق بالجهود كل الجهود إلى آفاق بلا حدود فمع الإبداع تزهر الحياة ويتعالى البناء ويتهاوى الفشل ويبدأ العمل، فهذه هي الأيادي الذي تعلمت كيف تسند الوطن في الشدة والرخاء وفي الحرب والسلم وفي الحاضر والمستقبل، طبتم وطاب ذووكم.

أكاديمية مكتب الشهيد تستنبت الإبداع

فاطمة الأمير: الوطن بحاجة إلى سواعد جميع أبنائه ولنا في الشهداء أعظم مثال

خاص الهوية

أقامت إدارة التوجيه والرعاية الأسرية بإشراف من مدير عام مكتب الشهيد فاطمة أحمد الأمير بالتنسيق مع مؤسسة قمم لتنظيم المشاريع التدريبية مشروع (أكاديمية المبدعين) الذي يوجه إلى أبناء الشهداء ممن تتراوح أعمارهم ما بين 20 - 35 سنة. ويتكون مشروع أكاديمية المبدعين من عشر دورات تدريبية في مختلف مجالات التنمية والتحفيز المباشر والتي تسهم في صقل وتأسيس المجموعات والأفراد، يحصل بها المنتسبون على دبلوم من معهد اكسبشن يؤهلهم لخوض غمار التطوير والتنمية البشرية.

وقد خضع أبناء الشهداء من المتقدمين للتسجيل بالأكاديمية لاختبار المقابلة الشخصية التي تم من خلالها تقييم شخصياتهم من قبل لجنة اختصاصية يتم بعدها تأهيلهم لدخول الأكاديمية، التي تعتمد على الورش والدورات التي يقدمها نخبة من المدربين المعتمدين.

وبعد تأهل ما يقارب 30 من مجتازي الاختبار، تم الإعلان عن انطلاق مشروع الأكاديمية خلال مؤتمر صحافي، حيث أعلنت مدير عام مكتب الشهيد فاطمة الأمير ومدير إدارة التوجيه والرعاية الأسرية أشواق العرادة، ورئيس مؤسسة قمم بدر الياقوت عن مشروع أكاديمية المبدعين وعن أهم أهدافه ونتائجه المرجوة التي تصب في مصلحة أبناء الشهداء من المتأهلين.

الجدير بالذكر بأن أهم أهداف الأكاديمية تتمركز في تطوير المهارات الإبداعية لدى الأبناء، وصقل مهارات التأثير في الآخرين في المحيط الاجتماعي، كما تطمح الأكاديمية لتطوير المواهب والقدرات الذاتية وتنميتها لتحقيق الاستفادة القصوى، ومن مميزات الأكاديمية تطوير القدرة على تحويل الأفكار إلى مشاريع حقيقية تعود بالنفع على الفرد والمجتمع. إن الهدف الأساسي والأسمى يكمن في جعل الأفراد متمكنين من العمل الجماعي وأن يعودوا بالنفع والتأثير الإيجابي على المجتمع.

مبادرة وتدريب وتفاعل

وقد استضافت أكاديمية المبدعين نخبة من المبدعين الكويتيين في شتى المجالات فعلى سبيل المثال، التقى طلبة الأكاديمية الدكتور عمر عبدالخالق البناي المدير العام لمركز صباح الأحمد للموهبة والإبداع حيث وجه بعض النصائح والمواعظ التي تشكل عتبة معرفة لدخول عالم براءة الاختراع والعلم. فقدم الدكتور البناي نصائحه عن كيفية تحويل الفكرة إلى فرصة عمل واقعية وملموسة خلال ما يقدمه مركز صباح الأحمد لدعم المواهب الكويتية وبيان أهمية الاختراعات والأفكار الخلاقة والتي يتبناها حضرة

صاحب السمو أمير البلاد المفدى من خلال تخصيص أراض صناعية لخدمة القوة الصناعية لأهميتها في اقتصاد الدول ورفعة شأنها.

كما التقت الطلبة المنضمين للأكاديمية مدير عام مكتب الشهيد فاطمة أحمد الأمير التي وجهت لهم عدة نصائح وإرشادات تثري مسيرتهم العلمية حيث ضرورة الالتزام وتوفير الوقت الكافي لتنمية الذات لبناء ثروة حقيقية لتنمية البلد والنهوض به، كما أردفت على أن أساس التطوير والتقدم كفاءات الموارد البشرية، فالوطن يقوم بسواعد أبنائه الأوفياء الذين يبذلون الغالي والنفيس، ولهم في الشهداء أعظم مثال في تلبية النداء والعمل على إعلاء شأنه ورفع راية الحرية والوطنية.

وأضافت في لقائها الدوري مع منتسبي الأكاديمية مدير إدارة التوجيه والرعاية الأسرية أشواق العرادة إلى أن برنامج الأكاديمية مخصص لمن يطمح إلى التغيير والتطوير من ذاته فمنذ الوهلة الأولى من إعلان المشروع شهد البرنامج إقبال ما فوق المائة من أبناء الشهداء والتي تنطبق عليهم شروط التسجيل بالأكاديمية إلى أنه وبعد مرحلة اختبار الشخصية تم تصفيتهم ليكون الناتج ثلاثين طالباً وطالبة ممن حالفهم الحظ ووفق نتائج الأسابيع الأولى من حضور الدورات التدريبية لمع بعض الطلبة المميزين ممن خاضوا في حياتهم العملية اتجاهات مختلفة عما كانت عليه، وانعكست بوادر الإيجاب على التكوين الشخصي والعملي مما لفت الانتباه وأثار الإعجاب.

أشواق العرادة: ثلاثون طالباً وطالبة تم اختيارهم ممن توسمنا فيهم الرغبة الذاتية في التغيير والتطوير

وفي لقاء مع إحدى المشاركات بالأكاديمية أشارت فرح الخواجه معلمة لغة انجليزية للمرحلة الابتدائية إلى أنها وبعد اجتيازها بعضاً من دورات الأكاديمية تمكنت من تقديم طلب ترشيح لنيل منصب رئيس قسم رغم استحقاقها للمنصب منذ أعوام، إلا أنها لم تمتلك وقتها القدرة على المواجهه واتخاذ القرار مسبقاً، ولكن وبعد أسابيع من التدريب المكثف تمكنت من الشعور بالثقة واتخاذ قرار ليتم تنفيذه مما عاد عليها

فرح الخواجة: المبادرة هي الخطوة الأولى والباقي توفيق من الله

بالإيجاب على المستوى العملي. ووجهت الخواجه رسالة مفادها أن الخطوة الأولى لطريق النجاح هي المبادرة، أما ما يأتي بعدها فهو توافيق من عند الله.

كما أضاف الطالب عبدالله العبدالهادي، طالب دكتوراه في جامعة نيوكاستل في استراليا إلى أن الدورات التدريبية التي خاضها في مكتب الشهيد ضمن برنامج أكاديمية المبدعين مكنته من كسر حاجز الرهبة والقدرة على الاسترسال في الحديث أمام جمهور حيث إنه يعاني من تأتأة تحيل دون قدرته على توصيل مجموعة من الرسائل والأفكار لطلبته في الهيئة العامة للتعليم التطبيقي. وقد بين أنه قد كسر حاجز الرهبة مسترسلا في حديثه وقد تجاوب مع وسائل الإعلام في لقاءات صحفية عدة كما سيشارك بحلقة نقاشية أمام جموع غفيرة كنتيجة إيجابية حصيلة التدريب في أكاديمية المبدعين.

وقد أردف دكتور محاسبة منتدب في الهيئة العامة للتعليم التطبيقي د. محمد الشمري عن شغف لطالما استلهمه يكمن في حبه للظهور الإعلامي وخوض غمار التحليل الإعلامي في مجال اختصاصه، إلا أنه كان ينقصه التدريب المهني السليم الذي يمكنه من كسر حاجز الخجل، ولكنه وبعد اجتياز مجموعة من الدورات التدريبية في الحديث أمام الجمهور، والقدرة على اتخاذ القرارات، والفاعلية في الحياة استطاع من عرض مشروعه أمام كوكبة من الحضور ليحقق بذلك هدفه ويحقق تمكناً أبهر به زملاءه والعاملين بمكتب الشهيد ويحظى على فرصة بأن يكون عريف حفل تخرجهم في أكاديمية المبدعين.

إن الإبداع الحقيقي يكمن في تسليط الضوء على مواقع الضعف والقوة ومواجهة المخاوف وتذليل الصعاب حتى يتم تحقيق المستحيل وخوض الصعاب لقطف ثمار الجهد، إن أكاديمية الإبداع فرصة حقة وليست مجرد شعار استطاع وبجدارة تحقيق الامتياز، إن مكتب الشهيد بهذه التجربة الفريدة استطاع أن يصل بالإبداع لمستوى أكاديمية.

المبدعون من أبناء الشهداء

أسرار .. حفيدة الصحراء

فوزية الشويش السالم

أسرار تعبر صحراءها محملة بأخطر تهمة توجّه لإنسان.
إنسان عشق وطنه إلى حدّ ذابت فيه الفواصل بين الروح والوطن.
بين الأنا والمواطنة.
امرأة حملت كفنها بيدها وعبرت الحدود.
من الكويت إلى السعودية.
تحزّمت بديسكات المعلومات المدنية، الحاملة لذاكرة وهويّة شعب بأكمله.
ذاكرة شعب بأكمله تحملها امرأة صغيرة بشجاعة تهزأ من الخوف.
امرأة تحبٍ إلى حدّ الجنون.
تحب وطناً.
تحب أهلها وناسها .
سماءها. وصحراءها .
تعشق بلاداً يطلق عليها اسم «الكويت».
لا نستطيع أن نقول للعاشق لماذا عشقت؟
ما أسرار عشقك لها ؟
لن يكون الجواب إلاّ. أسرار القبندي
«أسرار» التي حملها حبها لعبور صحراء الكويت إلى الخفجي محمّلة بحزام ناسف لكل حياتها لو اكتشف الأعداء سر الحزام.
«أسرار» التي عبرت الحدود محملة بأسرار شعب بكامله مربوط حول خصرها ، في سجل على أرقام مدوّنة.
كيف استطاعت العبور ؟
كيف تمكّنت من ضبط أعصابها؟
كيف لم تخنها هذه الأعصاب؟
كيف تحمّلت مواجهة قوّات الاحتلال مع هذا الكنز الملغم حول جسدها؟
هل فكرت للحظة. لحظة واحدة فقط. لثوان معدودة فقط.
ماذا سيحصل لو اكتشفوا سر الحزام؟
لكنها ببساطة لم تفكّر .
الفكرة المسيطرة كانت واحدة لا غير.
حب الكويت .
حبها إلى درجة العماء.
حبّها بلا سؤال. بلا ذرّة تفكير.
بلا منّة.
حبّها مع حذف خانة الفشل.
ليس هناك إلاّ خطّة واحدة.
النجاح والوصول إلى الهدف.
ربما هذا الإيمان المطلق كان سر التعويذة والنجاح.
نجاح مَن لا يرى العراقيل.
نجاح مَنْ يرى المشعل في نهاية الدرب.
ومَنْ يعرف أنّ الراية تخفق في أعلى يده.
اختلاف مشار إليه
مارشات عسكرية. وبيانات .
بيانات. وأخبار. وتشويش.
وأزيز. وتشويش.
وإصبعي على المؤشّر، يحرّكه في كل الاتجاهات لتصيّد أي محطة خارجة عن محطات العدو.
وليس سوى أهازيج. وأغانٍ.
وبيانات .
وفجأة التقط صوت امرأة.
امرأة كويتية تتحدّث مع المذيعة الشهيرة «باربرا والتزر».
تبثها أحزاننا. خوفنا. آلامنا.
وحدتنا ووحشتنا. وسط عالم يبدو لنا كأنّه نسينا.
عالم يحتفل بشجرة الميلاد.
بالاستعدادات لقدوم السنة الجديدة.
ونحن في أذيال سنة تنطوي وتكاد تطوينا معها.
نحن المنسيون. في مدينة مُحي اسمها من على الخارطة.
أحياء من دون وجود .
بانتماء بلا هوية.
في عالم حولنا يهرول في كل الاتجاهات. ويتحوّل في كل الأوقات.
يتغيّر. يفور بالتحوّلات. ويتسابق للخروج من القمقم.
ونحن المنسيون في المخابئ لا نشارك في وضع اللبنات.
ليس لنا نصيب في قطرة من فرح الكرنفال.
كان كل شيء حولنا يتغيّر .
بسرعة رهيبة يتغيّر.
كأنّ كل شيء كان ينتظر هذه اللحظة المصيرية.
هذا هو الميقات بالذات. هذي هي ساعة الصفر.
لحظة ابتلاع الكويت.
كأنّ الكويت كانت العقبة في وجه المعضلات.
أو كأنّها المفتاح لكل المشكلات.
وإلاّ بماذا نسمّي هذه التحوّلات؟
فجأة. ومن دون سبب، تتفكّك دول الاتحاد السوفييتي إلى دويلات وتحتفل.
«تشيكوسلوفاكيا» تنقسم إلى دولتين. وتحتفل.
«ألبانيا» تخلع النظام الشيوعي وتتحرّر منه باحتفال.
«لبنان» ينهي صراعه ومعاركه ويتجه إلى التعمير والبناء.
«سور برلين» ينهار، وينهي حياة الشيوعية للأبد، ويرقص على إيقاعات أزميل الحجر.

«العراق» يتصالح مع إيران ويتبادل الأسرى ، يفتح صفحة جديدة حتى يتفرّغ لنا .
الأحداث كلها تتسابق لسرقة أضواء معركتنا.
ونحن تزداد عزلتنا.
ويزداد نسياننا. ونفينا من الحياة.
نحن ساكنو الأقبية المدفونون تحت الأبنية في السر والسريّة.
نخوض عزلتنا في خوف من حبل مقطوع ، وقد لا نطفو أبداً.
والعالم حولنا يتلهّى في ضراوة الفرح والميلاد.
وفجأة. ومن لا مكان. وفي أقصى حالات العزلة واليأس.
يأتي صوت امرأة.
ينبت. لا تدري من أين.
كأنّه مصباح يبدّد العتمة، ويطرد الخوف والفزع من الانطفاء والنسيان.
صوت امرأة يعلن للعالم كلّه أننا هنا. هنا. هنا.
ما زلنا أحياء. ونستحق التفاتكم ، وإن كنا آخر همّ لكم، آخر همّ العالم.
صوت امرأة باسلة، تحمل روحاً لا تقهر.
تجيب عن الأسئلة وتفضح الممارسات الوحشية.
كيف تُوفي الأطفال الخدّج والمبتسرون بعد سرقة الأجهزة الطبية منهم.وكيف يُقتل ويؤسر الناس لأتفه الأسباب.
كيف يعاني العجزة والمعاقون من استلاب حقوق هي لهم.
أيّة امرأة هذه ، التي تبدد روح اليأس وتنتشلني من الخوف والعدم؟
أي ملاك هذا الذي حطّ على ظلام روحي؟
امرأة تتكلّم من الكويت؟!!
الكويت المحتلّة. المدجّجة بالجنود والسلاح والعتاد والموت المجاني. الكويت التي لم يبق من سكانها إلاّ ذرّة تقف على أنف الوحش.
ذرّة. ربما اعتقد أنّها ليست أكثر من عطسة، أو حكّة تزيلها إلى الأبد.
ولكن صوت امرأة قال العكس.
امرأة ربما لا تبعد عن مخبئي عدة أمتار .
قالت الذي لم أستطع أن أنطقه أو أحكيه أو أقوله .
مرآتي الشجاعة قالت عني ما لم أقُلْهُ .
بددت عني الوحشة ، وانتشلتني من أقصى. أقصى حدود العزلة.
حين كان الخوف مقصلة تكاد تجتث الأرواح.
وحين كان الناس جزر اتصالات مقطوعة.
كانت «أسرار» تقيم اتصالاتها بخارج الوطن، تنقل آلامنا وهمومنا إلى محطات العالم CNN ...A.B.C. وغيرهما.
كيف أدت هذه المهمة؟
كيف استطاع صوتها أن ينطلق من أسر الحنجرة؟
كيف طيّرت صوتها عبر الستلايت دون الفزع من اصطياده؟
أم أن صوتها طار بأجنحة اليقين والإيمان ولم يرصده أحد؟
امرأة من عمري. إحدى وثلاثون سنة.
كتبتْ ما لم أكتبه. وحققتْ ما لم أحققه.
امرأة لا تشبهني.
أنا النقيض وهي الضد.
نقيضي وضدي يحررني، يُعيد إليّ هويتي وكرامتي. ويثبت جذوري. لماذا لم أحمل أنا ديسكات المعلومات المدنية. أو ديسكات وزارة الخارجية، أو وزارة الداخلية، أو البنك المركزي؟
لماذا هي مَنْ استطاع فعل كل ذلك ولم أفعله أنا؟
هل لأنه ليس لي خبرة بالحاسوب، وبتشغيل وتعطيل أجهزة الاتصال؟
إذاً لماذا لم أربطها حول جسدي وأهرّبها إلى الخارج؟
كانت هناك طرق أخرى لأقترب من صورتها أكثر.
لماذا لم أطرق الباب. وأحاول تقريب التماثل بيننا؟
لماذا أبقاني الفزع والهلع حبيسة القبو طوال فترة الاحتلال؟
بينما هي تجول أرض الكويت بالطول والعرض،متزنرة بالشجاعة وبروح الفارس.
لماذا لم أركب معها الحصان؟
ولم أُشهر سيفي في وجه الظلم؟
كان بإمكاني الانضمام إلى إحدى الخلايا التي كانت تعمل بها.
كان بإمكاني توزيع المعاش والأموال للأسر المقطوعة، وهذا أضعف الإيمان.
أو أمدُّ لها يدي في إيواء الأجانب أو ما يسمون بـ «الدروع البشرية».
أليست هذه الأرواح المفزوعة تستحق مني البذل والعطاء؟
حين جبنتُ من عقوبة الإعدام.
لم تجبن هي.
نقلتهم بسيارتها إلى أماكن ومساكن أقارب وأصدقاء لها خارج الكويت.
خرجت من الحدود. ودخلت إلى الحدود .
خرجت ودخلت. نقلت بشراً.
نقلت ديسكات. وزعت نقوداً.
مرآتي صغّرت حجمي إلى أقل من الواقع.
يقولون صمودي كان مُقاومة.
أقول صمودي لا يكفي.
هل يكفي أن تختبئ مثل جرذ في غار حتى تصبح بطلاً في مقاومة؟
كانت مرآتي تشجع الناس للصمود ، لأنه الرفض الحقيقي للاحتلال . قلت: ومَنْ عَلِم بصمودي؟
قالت أختي : لنذهب معها في مظاهرة.
ارتعش خوفي. سبقني. وأغلق الباب .
فرّق أزيزُ الرصاص الأجساد، وفرّق رايات المظاهرة، وبقيت «سناء» شهيدة تحت عين الشمس.
قلت لأختي: الشهادة أو العار؟
قالت: الشهادة .
قلت: العار.
لماذا لم أختر الشهادة مثلها؟
لأنّ الشهادة بكل بساطة لم تخترني.
الشهادة فازت بها مرآتي .
مرآتي. يا مرآتي مَنْ فينا الأبهى والأجمل؟
قالت: أسرار .
قلت: مَنْ فينا الأنبل؟
قالت: أسرار.
قلت: مَنْ نال المفازة؟
قالت: أسرار.
قلت: وأنا؟
قالت: جُحر فيه فأر.
منذ متى سكن في الجحر هذا الفأر؟
هل بعد الولادة. أو ما قبل الولادة. أو ما قبل النطفة والخلق؟
منذ متى سكن في الجحر فأر؟
هل جاء من الجينات والكر وموسومات كسجل ووشم خاص بي؟
هل جاء من طفولة قلقة غير آمنة. من شعور باليتم المبكر؟
من أمن مفقود. مفقود. مفقود؟
من روح حساسة وجلة تحتمي خلف متراس اليقظة والحراسة؟
روح تنام بعيون مفتوحة، لحراسة الغفلة والنسيان.

الشهيد محمد مرزوق العازمي الصعود عبر بوابة خاصة

أصيب في ظروف التباس وريبة حيث الظلام الدامس والريح العاصفة، فأسرع به أصحابه لمستشفى العدان وهم يلقنونه الشهادتين، حتى ارتفعت روحه إلى بارئها

عرف الشهيد محمد العازمي بصفات حسنة وأخلاق طيبة فقد عرف بابتسامته الدائمة وحبه للمرح وهدوء الطبع واتصف بالحنان والصدق والوفاء وكان محباً للخير ماداً يده لمساعدة الناس وخدمتهم وكان حسن التعامل معهم كريماً في بذل ماله ولذا اكتسب محبة الآخرين والثناء عليه. وكان الشهيد حريصاً على أمور دينه، فقد كان مواظباً على الصلاة في وقتها متمنيا الشهادة في سبيل الله والدفاع عن الوطن.

دور الشهيد في أثناء الاحتلال الغاشم:

كان الشهيد محمد العازمي مجنداً في الجيش الكويتي برتبة وكيل عريف وفي صباح ذلك اليوم عندما علم بأمر الغزو العراقي تأثر تأثراً كبيراً لهذا العدوان الأكبر على وطنه فلم يرغب في الطعام أو الشراب حزنا على ما حل ببلده وكان حريصاً على أن يفعل شيئاً لمواجهة هذا الغزو الآثم فلبس الشهيد لباسه العسكري وتوجه إلى معسكر الجيوان لكي يشارك إخوانه قتالهم ضد القوات العراقية ولكنه لم يتمكن من الدخول إلى المعسكر فرجع إلى المنزل وكله حرقة لعدم القدرة على المشاركة في القتال، وحاول مرة أخرى في مكان آخر وهو معسكر اللواء «15» فذهب مع ابن عمه ناصر مطلق العازمي إلى ذلك المعسكر ولكن الجنود الكويتيين لم يسمحوا لهما بالدخول لعدم وجود أوامر فحاول الشهيد أن يقنعهم بالسماح له وانتظر في فترة الظهيرة حتى الساعة الرابعة عصراً ولكن دون جدوى فرجع إلى منزله في منطقة صباح السالم - ولكنه ما لبث أن خرج متجهاً إلى معسكر الحرس الوطني لعل المجال يكون فيه أوفر حظا من سابقه ولكنه أيضاً لم يسمح له بالدخول، فلما وجد أن الأبواب كلها قد سدت في وجهه توجه إلى مخفر منطقة صباح السالم وأبدى استعداده الكامل للمقاومة العسكرية فطلبوا منه أن يترك رقم هاتفه وأخبروه أنهم سيقومون باستدعائه إن تطلب الأمر، ولكن العراقيين

الشهيد في طفولته

كان في أوائل المتطوعين في مدينة أم الجماجم السعودية، وتلقى تدريباً عسكرياً في «الدمام» و«حفر الباطن» وفي مصر

ما لبثوا أن سيطروا على كل شيء دون أن تسنح له الفرصة باللحاق بأي جهة عسكرية ولكنه مع ذلك لم يقبل البقاء في بيته دون أن يكون له دور في مجال آخر ألا وهو التطوع في العمل الشعبي فانضم إلى إخوان له سخروا أنفسهم لخدمة الآخرين في منطقة صباح السالم فكان يقوم بتوزيع المواد الغذائية على الأهالي في منازلهم مع العمل في الجمعية التعاونية وتنظيف الشوارع وتوزيع المنشورات وإسعاف المرضى والمصابين والمشاركة في تصوير القتلى الكويتيين على أيدي القوات العراقية قبل دفنهم ليكون شاهداً على وحشيتهم وعدم إنسانيتهم.

وقد غادرت أسرة الشهيد محمد العازمي الكويت إلى السعودية خلال الأسابع الأولى من الغزو، خوفا على أعراضهم من أن تدنس على أيدي العراقيين، ولكن الشهيد محمد رفض الخروج لكي يساهم في خدمة المواطنين فظل في الكويت حتى أوائل شهر نوفمبر 1990 م حيث استطاع المغادرة إلى المملكة العربية السعودية ليقوم بدور آخر في مقاومة جيش المعتدي فلم يكن خروجه من الكويت خوفا على نفسه أو بحثا عن الأمان أو طلبا للراحة ويشهد له ما ذكرناه من حرصه الشديد على المشاركة القتالية منذ الساعات الأولى من الغزو ودوره الذي سنذكره بعد قليل بعد مغادرته أرض الوطن للمشاركة في تحرير الكويت، ففي وقت مبكر من خروجه انضم إلى تنظيم من العناصر الكويتية في منطقة الخفجي الحدودية مع الكويت يخطط للدخول إلى الكويت من جهة النويصيب لكن قوات التحالف في هذه المنطقة منعتهم من الدخول من هذه الجهة إلى الكويت بسبب اكتشاف القوات العراقية لتلك المنافذ واعتقالهم كل من يدخل إلى الكويت ونصحوا بالتريث وعدم تعريض أنفسهم للتهلكة دون أن يكون لهم أثر في مواجهة الجيش العراقي، وطلب منهم الانتظار حتى يفتح باب التطوع وبالفعل بعد فترة وجيزة فتح باب التطوع لمواجهة المعتدين فكان الشهيد محمد العازمي من أول المتطوعين في مدينة أم الجماجم في السعودية، ثم نقل الشهيد من مدينة أم الجماجم إلى منطقة الدمام وذلك لتلقي التدريب العسكري اللازم فأدخل في دورة عسكرية مدتها شهر تلقى فيها أساسيات مختلفة في الشؤون العسكرية وقد حصل على شهادة تخرج في حفل حضره وزير الدفاع آنذاك الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح.

وبعد هذه الدورة بأسبوع أو باسبوعين لم يلبث شهيدنا أن استجاب لنداء الوطن للمشاركة في دورة أخرى لمن اجتاز الدورة الأولى وذلك في منطقة حفر الباطن فذهب إلى هناك وبعد ثلاثة أيام من الالتحاق نقلوا إلى جمهورية مصر العربية لدورة تدريبية عسكرية مدتها خمسون يوما تقريبا تدرب فيها على أنواع مختلفة من الأسلحة في وحدة الصاعقة إضافة إلى تلقيه تدريباً في

سلاح المدرعات.

وقد كان الشهيد محمد العازمي متفوقاً على أقرانه في هذه الدورة فقد حصل على المركز الأول في مجال الرماية وبخاصة أر. بي. جي» وكان هذا الاتقان في وقت قصير مما يدل دلالة واضحة على تفانيه في التدرب وحماسه البالغ في إجادة استخدام السلاح وبعد انتهاء الدورة غادر مصر إلى قاعدة عسكرية في منطقة حفر الباطن في منتصف شهر يناير 1991 م ، وفي يوم 1991/1/17م بدأ التحرك العسكري لدول التحالف في عملية تحرير الكويت بالضربة الجوية الذي يعتبر تاريخاً مميزاً في ذاكرة أهل الكويت حيث ظهرت الفرحة الغامرة

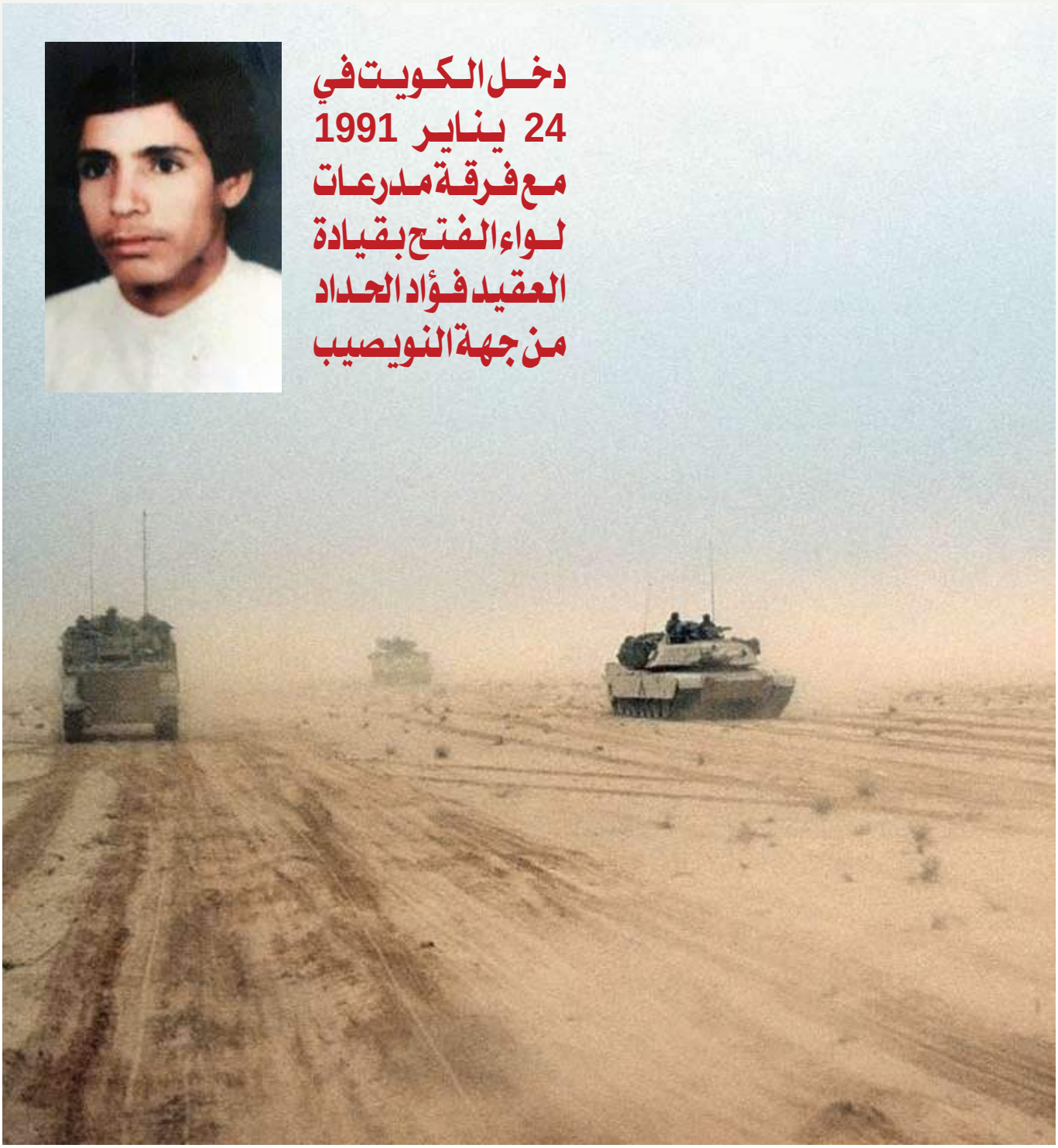

سواء ممن عانوا داخل الكويت أو خارجها ومن بين هؤلاء الشهيد محمد العازمي الذي كان قد وصل لتوه إلى السعودية قادماً من مصر في طريقه إلى القاعدة العسكرية في حفر الباطن وكان لهذه المناسبة بالغ الأثر من الناحية العملية في الحماس للمشاركة مع الجهات المختلفة حيث ظهرت الجدية لدول التحالف في عملية تحرير الكويت. وكان آخر هذه المحطات للأدوار المتعددة للشهيد محمد في المشاركة لمواجهة الغزو العراقي الآثم هي المشاركة الفعلية في عملية التحرير وذلك عندما دخل إلى الكويت بتاريخ 1991/1/24م مع فرقة المدرعات للواء الفتح بقيادة العقيد فؤاد الحداد من جهة النويصيب وذلك بعد أن أدى الجنود صلاة الفجر عند الحدود السعودية الكويتية، وكانت هذه المشاركة للشهيد محمد نابعة من إحساسه العميق بأنها شرف له إذ ليس للحياة قيمة والمعتدون قابعون على أرض الوطن.

وعندما دخلت فرقة المدرعات التي ضمت الشهيد محمد إلى الكويت واجهتها بقايا فيلق من الجنود العراقيين لا يتعدى عددهم المئة والخمسين بمعنويات منهارة ما لبثوا أن سلموا أنفسهم للفرقة الكويتية ثم مروا على ميناء الزور فوجدوا مجموعة من الموظفين العاملين مسجونين فأطلقوا سراحهم ثم اتجهوا إلى منطقة الوفرة ومكثوا فيها يوم 1991/1/25/24م ثم تحركوا فجر يوم 1991/1/26م إلى منطقة أم الهيمان وظلوا فيها

من اليمين خالد عواد بن حسيان، زيد عايض بن جعيدان، الشهيد محمد مرزوق بن غربين، محسن عمر الرطيب.

في «ميناء الزور» ساهم في تحرير مجموعة من الموظفين المسجونين ثم اتجه مع بقية زملائه صوب الوفرة ومكث لمدة يومين

يوم 1991/1/27/26م وفي يوم 1991/2/8م توجهوا إلى منطقة الفنطاس ثم جاءت أوامر إلى الفرقة بالتوجه إلى منطقة صباح السالم والقرين لتحل محل القوات القطرية، ثم أمروا بالتوجه إلى منطقة مشرف وفي الطريق تعطلت المدرعة التي كانت تقل الشهيد محمد مع زملائه على الخط السريع للملك فهد بن عبدالعزيز بالجهة المقابلة لمعرض مشرف الدولي، وطلب آمر السرية من محمد وأصحابه البقاء فيها إلى حين ذهاب الفرقة إلى الموقع المحدد ثم يرسل لهم نجدة لسحب مدرعتهم.

الاستشهاد:

كان محمد العازمي حريصاً على الشهادة فكان يطلب من والدته بإلحاح أن تدعو له بالشهادة فلما تعطلت المدرعة وكانت الشمس قد قاربت على الغروب في جو مغبر وريح شديدة حاول المجندون إصلاح المدرعة بينما ذهب الشهيد محمد إلى البر جهة الجنوب الشرقي عله يجد قطعة أو أي شيء يساعدهم على إصلاح العطل ورجع محمد إلى فرقته ولكن من جهة الشمال غير الجهة التي ذهب منها وكان قد سمع إطلاق نار من جهة المعرض الدولي فأراد الرجوع ليأخذ سلاحه ويخبر زملاءه فرأى أصحابه شخصاً في الظلام مقبلا عليهم فظنوه عدوا لهم فطلبوا منه الوقوف ولكن لشدة الريح لم يسمع محمد الصوت فأطلقوا الرصاص في الهواء فاستلقى على الأرض ثم نهض متجها صوب المدرعة فأطلق عليه أصحابه النار فأصابوه في كتفه الأيمن فسقط على الأرض ظنا منهم أنه من العراقيين فنهض متجها إلى أصحابه فازدادوا به ريبة فضربوه مرة أخرى فسقط على الأرض ثم أخذ يزحف تجاههم فظنوه عدوا قد شحن نفسه بالألغام يريد أن يفجرهم مع المدرعة فأطلقوا عليه النار فأصابته رصاصة في بطنه وأخرى استقرت في قلبه وجاء إليه أصحابه فعرفوه وكان في النزع الأخير فأسرعوا به إلى مستشفى العدان وهم يلقنونه الشهادتين فنطق بهما ثم فاضت روحه وهم في طريقهم إلى المستشفى في الساعة السابعة مساء تقريباً وفي اليوم الثاني من الاستشهاد ذهب ابن عمه مطلق العازمي مع آخرين إلى مستشفى العدان ليأخذوه إلى مقبرة الرقة ودفن فيها قبل صلاة العصر. وبعد ثلاثة أيام من دفنه ذهب أخوه الأصغر فهد مع ابن عمه إلى السعودية وأخبر والدته باستشهاد ابنها فبكت حزنا على فراقه ولكنها ما لبثت أن فرحت لاستشهادة.

رحم الله الشهيد رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

من كتاب: حيثيات الاستشهاد ج/4 د. أحمد الحسن ود. سعود العصفور. «بتصرف»

منظر جانبي لجبل بوكافر

أمازيغية قادت الرجال في معارك ضد المستعمر

المغربية عدجو .. الموت المتدحرج

عبد الكريم المقداد

أثار ظهورها في المعارك ذهول الضباط الفرنسيين، حيث لم تكتف بالتنقل بخفة على جبهات القتال لإثارة حماس المقاتلين، أو لحمل شهيد أو تضميد جريح أو نقل الماء والغذاء، بل كانت تمتشق السلاح وتقاتل جنبا إلى جنب مع الرجال حتى غدت أسطورة يلهج بذكرها الصغير قبل الكبير ، ومفخرة يتنافس في التباهي بها الشعراء.

إنها المرأة الشاعرة التي كانت قصائدها الملتهبة تستقطب الرجال إلى ساحات الوغى وتؤجج حماسهم بخطاباتها: (الموت أهون من الاستسلام. إنها الحرب ثم الحرب وليس إلا الحرب...إنها فرض عين على كل قادر على حمل السلاح، رجلا كان أو امرأة)، ناهيك عن زغاريدها التي كانت تزكي الحماس وتشحذ الهمم في ساحات القتال، إلا أن الحادث الذي جعل شهرتها تتجاوز الآفاق هو قتلها لأكثر من 40 جنديا فرنسيا دفعة واحدة في إحدى معارك جبل (بو كافر).

تلك هي المغربية الأمازيغية (عدجو مُوح نايت خويا علي)، التي لم تكن حياتها قبل الثورة بأقل إثارة منها خلالها، بل أكثر سطوعا وغرابة، فهي البدوية الحسناء التي ولدت في العام 1905 في منطقة (إكنيون) الصحراوية القبلية الواقعة في

الجنوب الشرقي للمغرب، وهي الفتاة التي أجبرتها الظروف في ما بعد على إخفاء أنوثتها والتصرف كرجل لمدة سنتين دون أن يشعر بها أحد!

بين عدجو وموح

في الصحراء ولدت لعائلة بدوية امتهنت التنقل بين مكان وآخر بحثا عن الكلأ والماء لماشيتها. وقد أكسبها الرعي وتتبع قطيع الغنم مسافات طويلة جسدا فولاذيا وعلمها الصبر والجلد، مثلما منحتها الطبيعة الصحراوية بفضاءاتها المفتوحة والممتدة الشجاعة والجرأة والاعتزاز بالنفس. لكن شاءت الأقدار أن يتوفى أبوها وهي في الثامنة من العمر، ثم أمها بعد سنتين، فتغير حال الطفلة وسيطر عليها الحزن. وزاد في أساها موافقة أخويها الكبيرين على تزويجها من رجل مسن وهي لم تصل الخامسة عشرة من العمر بعد.

راحت عدجو تفكر في الخروج من هذه الورطة، ولم تجد أمامها مخرجا سوى الهروب، لكن الخوف من تحرش الأغراب بها واغتصابها لو فعلت جعل ذهنها يتفتق عن فكرة عجيبة تتمثل في التحول ظاهريا إلى ذكر! قصّت شعرها ولبست سروالا وقميصا وقبعة وربطة عنق أحد أخويها، وأخذت أربعين درهما فقط من صندوق في البيت كان يحتوي على ثلاثة آلاف درهم، وانطلقت هاربة بعد صلاة الفجر إلى منطقة تسمى (آيت بوحدو) حيث قدمت نفسها على أنها رجل يدعى (موح)، وعملت في حرث وزراعة الأرض عند إحدى الأسر لمدة شهرين.

خلال تلك الفترة انتبهت

بئر ماء قصفها الفرنسيون لتشديد الحصار

أجبرها أخواها على الزواج من مسن فهربت وتنكرت بزي رجل سنتين

إحدى النساء إلى أن (موح) كان يخفي بعض الأشياء في جحر جدار، فترصدته إلى أن اكتشفت أنها خرق دم المحيض، ولكنها لم تتأكد جيدا إلا بعد أن أطلت عليه من شق في الباب وهو يستحم فتيقنت بأن هذا الشاب لم يكن إلا فتاة متنكرة بزي رجل، بيد أن هذه الأسرة لم تفش سر الفتاة واكتفت بتسريحها من العمل. بعد ذلك استعملت عدجو حزاما عريضا لتربطه على صدرها لإخفاء ثدييها، وانتقلت للاشتغال في منطقة مجاورة تسمى (تاوريرت زكاغن)، وجربت خلال ذلك العديد من الأشغال الشاقة بما فيها حفر الآبار والحرث والبناء. ولتأكيد أنها ذكر كانت في أوقات فراغها تشارك الشباب في لعب الكرة، وتذهب لأداء الصلاة في المسجد. وقد استمرت على هذه الحال في العمل والتخفي لمدة تقارب السنتين لم تقطعها

بحنكتها وشجاعتها تمكنت من قتل أكثر من أربعين فرنسيا في واقعة واحدة

إلا الصدفة.

فقد اعتاد (موح) على مجالسة إحدى فتيات الأسرة التي عمل عندها في الفترة الأخيرة، والتواصل معها لأوقات طويلة، ما دفع بأمها إلى الاحتجاج عليها وتنبهها من العواقب الوخيمة التي قد تنتج عن علاقتها بهذا الشاب، لكن الفتاة أخبرت أمها أنها اكتشفت أمر (موح) منذ سنة، لكنها تعهدت بعدم إفشاء سره. فوجئت الأسرة بالخبر، فواجهتها بالحقيقة فاعترفت. وإثر ذلك اتصلت الأسرة بأسرتها ورجال الدرك، الذين أثنوا على هذه الفتاة الحسناء، معتبرين أنها تستحق كل تقدير مادام هدفها الحفاظ على الشرف، واتصلوا بأهلها وشرحوا لهم الأمر. وهكذا عادت إلى (عدجو) وإلى (إكنون) مجددا، لكن بعد أن تمكنت من تجنيب نفسها الزواج من رجل مسن، فانتشرت حكايتها وراحت تروى بكل إعجاب وتقدير.

أسطورة المقاومة

بعد أن تزوجت عدجو من (لحسن نايت بوح) هاجرت معه ضمن وفود عديدة إلى منطقة (آيت عطا) في الجنوب المغربي تلبية لنداء الدفاع عن الوطن في وجه المحتل الفرنسي، الذي حاول التوغل في الجنوب الشرقي المغربي، والسيطرة على جبال (صاغرو) لإخضاع قبائل (آيت عطا)، التي تحصنت بتلك الجبال وشكلت سدا منيعا أمام توسعه، حيث دارت معارك عديدة بين الطرفين بين الأول من يناير عام 1933 والحادي والعشرين من مارس من العام ذاته، وقد شاركت عدجو في هذه المعارك كلها، وتوزعت مشاركتها بين العمل الحربي والعمل الأدبي كشاعرة، فمقابل تضحياتها الجسام في توزيع المؤن والذخيرة على المجاهدين وتضميد المصابين منهم في ساحة المعارك، وجهت شعرها لاستنهاض الهمم، وتعبئة المقاومين لمواصلة القتال، لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد، بل امتشقت البندقية وانخرطت كالرجال في جبهات القتال.

تحصن المجاهدون في جبال (صاغرو) المعروفة بوعورة مسالكها وارتفاعها واحتوائها على الكثير من المغاور، وسُميت تلك المعركة التي امتدت لثلاثة أشهر بمعركة (بوكافر) نسبة لاسم قمة من قمم جبل صاغرو، بقيادة البطل المقاوم (عسو وباسلام). ومرت هذه المعركة بثلاث مراحل الأولى من بداية يناير وحتى العاشر من فبراير وتميزت بانتهاج الثوار فيها

جبل بو كافر وتبدو صورة عسو قائد المعركة

حرب عصابات أسفرت عن خسائر كثيرة للفرنسيين حسب قول أحد قادة الجيش الفرنسي (جون ديسم): « في شهر يناير وحده، فقدنا أربعة من أحسن ضباطنا بالإضافة إلى الجنود ومئات الجرحى والمعطوبين وسيطر المهاجمون على غنائم هامة، منها بهائم محملة بالأسلحة والمواد الغذائية».

أما المرحلة الثانية فامتدت من 12 فبراير إلى الأول من مارس، في حين امتدت الأخيرة من أول مارس إلى الحادي والعشرين منه وتميزت بفشل ذريع للقوات المحتلة جعلها تمارس سياسة الأرض المحروقة وفرض حصار مطبق على الأهالي شمل الغذاء والماء اثنين وعشرين يوما، وأدى إلى الجوع والعطش والفتك بالماشية التي

استشهد زوجها أمام عينيها فامتشقت البندقية ولم تتركها حتى استشهادها

أثار قتالها بشراسة وتنقلها بخفة خلال المعارك ذهول الفرنسيين فلم يصدقوا

كانت المصدر الأساس لعيشهم. لكن كل ذلك لم يثبط من عزيمة المجاهدين الذين تحصنوا في قمة جبل كافر، الذي حار الفرنسيون في التعامل مع طبيعته الصعبة على الرغم من استخدامهم 44 طائرة ومدافع ثقيلة مختلفة وأسلحة متطورة وفتاكة.

اقتصر دور (عدجو) في تلك المعارك على جلب المياه وتوزيع الذخيرة والمؤن على المجاهدين حتى يوم الثامن والعشرين من فبراير الذي شهد قنص أحد المقاومين أشهر عسكري من الجهة الأخرى وهو الجنرال (هنري دو لاسيناس دو بورنازيل) المشهور بـ«الرجل الأحمر». في ذلك الصباح فقد أحد قادة القوات الفرنسية الجنرال كاترو أعصابه وأمر بالقصف العشوائي غير المنقطع، فاستشهد العديد من المجاهدين، الرجال منهم والنساء والأطفال، وكان ضمنهم زوج عدجو موح، الذي مزقت إحدى القذائف أشلاءه أمام عينيها، فكانت نقطة التحول الكبرى في حياتها، إذ سارعت في انتزاع بندقية من ذراع أحد الشهداء والانخراط في القتال إلى جانب الرجال، وهو ما استمرت عليه حتى استشهادها.

وقد تمكنت عدجو من استعمال مختلف الأسلحة التي كان يستخدمها المقاتلون، واستطاعت أن تردي العديد من جنود المحتل، إلا أن الحادث الذي جعل اسمها يتردد على الألسن وجعل شهرتها تتجاوز الآفاق هو قتلها لأكثر من 40عسكريا دفعة واحدة. ذلك أن معرفتها الدقيقة بشعاب وقمم جبل بوكافر، جعلتها تختار لها مكانا منيعا، ولما رأت ذات

جانب من الجبل مع بناء حديث لمبيت الزوار

وجانب من الطرق في جبل كافر

جبل بوكافر معلم تاريخي وسياحي رُسمت فوقه ملامح بطولية خالدة

صباح، فرقة مختلطة من الجنود الفرنسيين تتسلق إحدى الشعاب في اتجاه حصن جبلي يتحصّن فيه بعض المقاومين، أشارت إلى المقاومين بألا يُحرّكوا ساكنا حتى يصعد آخر جندي. وما أن تيقنت من اقترابهم من إحدى القمم، حتى سارعت في دحرجة صخور كبيرة عليهم هرستهم كلهم فلم ينج أي منهم.

منذ ذلك اليوم غدت عدجو مُوح أيقونة الجهاد في صاغرو، لكن قدرها شاء أن تصاب بقذيفة أودت بحياتها في مارس من السنة نفسها، وأن تُوارى الثرى في الجبل حيث قُتل زوجها تاركة ولديها (حماد ألحسن وخيرة ألحسن) أيتاما وقد فقدا أبويهما في معركة بوكافر، التي غدت رمزا تاريخيا ونموذجا رائعا للمقاومة المغربية ضد

تميزت بإلقاء الشعر الحماسي وإطلاق الزغاريد خلال المعارك لاستنهاض الهمم

الجنرال الفرنسي بورنازيل

المستعمر الفرنسي، الذي بلغ عدد قتلاه فيها حوالي 3500 عسكري من بينهم حوالي عشرة ضباط ومئات من المجندين، بينما بلغت حصيلة الشهداء 1300 شهيد فقط.

وفي شهادة على ضراوة الحرب قال هنري بوردو، عضو الأكاديمية الفرنسية الذي زار المنطقة بعد مرور سنة على هذه الأحداث «لقد أرسلت عليهم القنابل ليل نهار من السماء والأرض لمدة 42 يوما! اثنان وأربعون يوما من الحرمان والأرق والعطش! إثنان وأربعون يوما قضوها مع الحيوانات ومع الجثث المتعفنة... فلنقس بذلك قدرتهم على تحمل ما قاسوه من المحن تحملا يسمو بهم إلى أعلى الدرجات».

سعد بن معاذ رضي الله عنه
شهيد اهتز له عرش الرحمن

قال لقومه: كلام رجالكم ونسائكم حرام علي حتى تسلموا، فأسلموا جميعاً وبهذا كان أعظم الناس بركة على الإسلام

طـــارق عـــديّ

هو الصحابي الجليل سعد بن معاذ بن النعمان الأنصاري الأوسي الأشهلي رضي الله عنه، وكنيته أبو عمرو، وأمه كبشة بنت رافع لها صحبة رضي الله عنها، وسعد رضي الله عنه هو الصحابي الجليل الذي تميز بكثير من المميزات عن غيره من الشهداء الأبرار على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو الشهيد، وهو صاحب الجنازة التي حملتها الملائكة، وهو رضي الله عنه من احتضنه رسول الله وجرحه ينزف فسالت دماؤه على ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد وُصف من سيد الخلق بالسيادة وأمر الناس بالقيام له، وله مميزات أخرى جميلة وصفات جليلة سنأتي على ذكرها لهذا الشهيد العظيم المجاب الدعوة والملهم، الذي أقر القرآن الكريم اجتهاده، ووافق الرسول صلى الله عليه وسلم على قضائه وحكمه، وكان رضي الله عنه من أعظم الناس بركة على الإسلام. فقد أسلم على يد مصعب بن عمير لما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ليعلم المسلمين، فلما شرح الله صدره للإسلام، وأنار قلبه بالإيمان، انطلق إلى قومه بني عبد الأشهل فقال: كلام رجالكم ونسائكم حرام علي حتى تسلموا.. فأسلموا جميعا، ولم يخرجوا عن قوله ورأيه، وبهذا كان أعظم الناس بركة على الإسلام، فلم تذكر كتب السيرة لغيره رضي الله عنه مثل هذه الميزة من إسلام قوم بإسلام سيدهم. إن مما يوضح صورته رضي الله عنه ويكشف عن جوانب شخصيته الفذة، وشجاعته النادرة، ومواقفه التي لا تنسى، ما رواه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه من قصة رحلته لأداء العمرة قبل الفتح، قال: انطلق سعد بن معاذ معتمرا، فنزل على أمية بن خلف، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة، نزل على سعد، فقال أمية لسعد انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت

فطفت بك، فبينا سعد يطوف إذ أتاه أبو جهل فقال من هذا الذي يطوف بالكعبة آمنا؟ فقال سعد أنا، فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة آمنا وقد آويتم محمدًا وأصحابه، فقال: نعم فتلاحيا بينهما، فقال أمية لسعد رضي الله عنه: لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي، فقال له سعد: والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك إلى الشام، قال فجعل أمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك، وجعل يمسكه. قال: فغضب سعد، فقال: دعنا عنك، فإني سمعت محمدًا صلى الله عليه وسلم يزعم أنه قاتلك، قال: إياي؟ قال: نعم، قال سعد: والله ما يكذب محمد، فرجع أمية إلى أم صفوان فقال لها: أما تعلمين ما قال لي أخي اليثربي؟ قالت: وما قال؟ قال: زعم أنه سمع محمدا يزعم أنه قاتلي، قالت: فوالله ما يكذب محمد، قال: فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصريخ قالت له امرأته: أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي؟ فأراد ألا يخرج، فقال له أبو جهل مشجعاً ومحرضاً على الخروج وباثا فيه حمية الجاهلية: إنك من أشراف الوادي فسر معنا يوما أو يومين، فسار معهم فقتله الله تعالى في ذلك اليوم المشهود من أيام الإسلام الذي عزت فيه الدعوة وارتفع لواؤها. لقد تبدت في هذه الحادثة وهذه العمرة لسيدنا معاذ –رضي الله عنه– شجاعة نادرة قل مثيلها، وموقف بطولي رجولي لا يصنعه إلا العظماء من الرجال، فيه التحدي لرأس الشرك وعدو الدعوة الإسلامية في بلد المشركين يومئذ، موقف فيه تهديد ووعيد على الملأ بقطع المؤونة، وتعطيل التجارة، إن مسه أحد بسوء رغم أنه كان وحيدًا في القوم المشركين، بل زاد على ذلك بتبشير بالقتل، ثم سوق بعد ذلك إلى نار وقودها الناس والحجارة، موقف لا يكون إلا من شخص ملأ الله قلبه بالإيمان، وأحياه بالإسلام، واختاره ليكون من خيرة الأصحاب، وأكرم الشهداء. وقد شارك رضي الله عنه بعد ذلك في الغزوات مع النبي صلى الله عليه

استشهد - رضي الله عنه - بعد تحكيمه في بني قريظة حيث أقرّ الله عينه بما تمناه

وسلم بدرًا وأحدًا والخندق، يقول ابن الأثير رحمه الله تعالى: مقامات سعد في الإسلام مشهودة كبيرة، ولو لم يكن له إلا يوم بدر لكفاه فخراً وعزاً ونصراً للإسلام، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما سار إلى بدر، وأتاه خبر نفير قريش قام فاستشار الناس، فقال المقداد فأحسن، وكذلك أبو بكر، وعمر، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الأنصار، لأنهم عدد الناس، فقال صاحبنا في هذا المقال سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل، قال سعد: لقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به الحق، وأعطيناك مواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، ولعل ربك يريك فينا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله» فَسُر الرسول لقوله، ونشطه ذلك للقاء الكفار فكان ما هو مشهور من نصر للمسلمين وكسر لشوكة المشركين الذين جاؤوا بعددهم وعدتهم، وكبار طواغيتهم من أمثال أبي جهل وأمية وغيرهم فغيبوا هنالك في البئر، وسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبارته المشهورة: «لقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا». أما الصفحة الأكثر إشراقًا، والأشد نورًا وإضاءةً في حياة سعد رضي الله عنه، فهي التي تجلت بمواقفه رضي الله عنه في غزوة الخندق التي أصيب بها، ثم ما تلاها بعد ذلك في غزوة بني قريظة خائني العهود وناقضي المواثيق، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق، وكانت أم سعد معها في الحصن، قالت عائشة: مر سعد بن معاذ وعليه درع مقلّصة (مجتمعة منضمة) قد خرجت منها ذراعه وفي يده حربة وهو يقول: لبث قليلا يلحق الهيجا حمل . . . . لا بأس بالموت إذا حان الأجل فقالت أم سعد: الحق يا بني، قد والله أخرت، فقالت عائشة: يا أم سعد لوددت أن درع سعد أسبغ مما هي، فخافت رضي الله عنها عليه حيث أصابه السهم بعد ذلك، قال ابن إسحاق: فرماه حبان بن العَرِقة فقطع أكحله، وقال حين رماه: خذها وأنا ابن العرقة، فأجابه سعد: عرّق الله وجهك في النار، ثم قال: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقني لها، فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه، وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة، ولا تمتني حتى تقر عيني في بني قريظة، وسبب هذه الدعوة أنه كان ممن وقف على حقيقة غدرهم وخيانتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في أشد ساعات الحظر والضيق في غزوة الخندق، وكان هذا النقض من بني قريظة للعهد في هذا الظرف أشق على المسلمين من هجوم الأحزاب من خارج المدينة، ومما يصور جسامة الحظر الذي كان يتهدد المسلمين،

والفزع الذي أحدثه نقض بني قريظة للعهد ما روي من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انتهى إليه الخبر، بعث سعد بن معاذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج، ومعهما عبدالله بن رواحة، وخوات بن جبير رضي الله عنهم فقال: انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه –أي لا تصرحوا بالخبر– ولا تفتوا في أعضاء الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس، فقاموا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم من الغدر بالمسلمين والتهيؤ للإيقاع بهم، فلما رجعوا أبلغوا رسول الله بالتلميح لا بالتصريح، يقول ابن إسحاق: وعظم عند ذلك البلاء، واشتد الخوف،

وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى ظن المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق من بعض المنافقين، وذلك مصداقًا لقوله تعالى: «إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا» الأحزاب (10 - 11) إن هذه الحقيقة المؤلمة الشديدة الخطيرة التي رآها وعايشها رضي الله عنه هي التي حملته في هذا اليوم على تقرير ذلك الحكم الشديد المناسب للجريمة الفادحة، والخيانة الآثمة يوم تحكيمه في بني قريظة بعد حصارهم ونزولهم على حكمه. ومن مشاهد بطولته وقوته في الحق ورجولته واعتزازه بدينه وصدقه وثباته في نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما رواه ابن إسحاق قال: فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عيينة بن حصن وإلى الحارث بن عوف -وهما قائدا غطفان- فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح، فلما أراد الرسول أن يفعل، بعث إلى سعد بن معاذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج فذكر ذلك لهما، واستشارهما فيه، فقالا له: يا رسول الله، أمرًا تحبه

ندبته أمة باكية ولم ينهها الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: كل نادبة كاذبة إلا نادبة سعد

فنصنعه، أم شيئًا أمرك الله به لا بد لنا من العمل به؟ أم شيئًا تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم، فأكسرُ به شوكتهم عنكم، فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، ولا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى أو بيعا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه، نعطيهم أموالنا (والله) ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنت وذاك. فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال : ليجهدوا علينا. مهمة حفظها التاريخ وتناقلتها الأجيال: (والله ما لنا بهذا حاجة)، الله أكبر يا لها من كلمة شدت من عزائم، وحفزت من همم، وقوت من إرادات، وثبتت أنفسا في أصعب المواقف وأحلك الظروف، نعم إنه يوم الخندق وما أدراك ما أيام الخندق، إنها أيام تقول عنها أم سلمة رضي الله عنها: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهد فيها قتال وخوف (المريسيع وخيبر والحديبية والفتح وحنين) ولم يكن من ذلك أتعب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أخوف عندنا من الخندق، وحسبك به من يوم يقول الله تعالى فيه: «إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا» ومما يذكر له رضي الله عنه في هذه الغزوة طلبه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يأذن لبني حارثة بالرجوع إلى بيوتهم بحجة أنها مكشوفة للعدو متروكة بلا حماية، وذلك ما أشارت إليه الآية: (ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة)، فإنه لما بلغ سعدا أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن لهم. جاءه فقال: يا رسول الله لا تأذن لهم، إنا والله ما أصابنا وإياهم شدة إلا صنعوا هكذا. فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يقبل عذرهم ولا حجتهم، وهنا جبههم القرآن وكشف أمرهم بقوله تعالى: «إن يريدون إلا فرارا»، فكان ذلك تصديقا لقول معاذ رضي الله عنه، وتأييدا لموقفه الحاسم بشأن المنافقين

والخونة الخائفين.

استشهاده ولحاقه بالرفيق الأعلى

ولما اقتضت حكمة الله جل وعلا أن يكون لكل حي نهاية، ولكل مخلوق أجل محتوم لا يتخلف، ولا يزاغ عنه، فقد حان ذلك ووقع لسيدنا سعد بن معاذ رضي الله عنه بعد تحكيمه في بني قريظة، حيث أقر الله عينه بما تمناه لهم يوم أصيب حيث قال: ولا تمتني حتى تقر عيني في بني قريظة. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أصاب سعداً السهم أمر أن يجعل في خيمة رفيدة الأسلمية في المسجد ليعوده من قريب. وبقي على هذه الحال إلى أن كان التحكيم. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن معاذ ليحضر ويحكم في بني قريظة، فأقبل على حمار، فلما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم قال: قوموا إلى سيدكم، أو قال: «خيركم، وقال رضي الله عنه لسعد بن معاذ: احكم فيهم». فقال الناس: يا أبا عمرو، قد ولاك رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر مواليك لتحكم فيهم، فقال سعد: عليكم بذلك، عهد الله وميثاقه، قالوا: نعم، قال: وعلى من ها هنا؟ في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن معه، وهو معرض عن رسول الله إجلالا وحياءً منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم احكم، فقال سعد: أحكم أن تُقتل الرجال وتقسّم الأموال وتسبى الذراري. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حكمت بحكم الملك. يقول الشيخ علي الشربجي في كتابه «مهارات في السيرة النبوية» تعليقًا على هذه الحادثة: لعل قائلاً أن يقول: أما كان هذا الحكم في بني قريظة شديدًا، ومخالفًا للمعاني الإنسانية، وحقوق الإنسان؟ والجواب: أن هذا الحكم هو الحكم الحكيم الذي لا يصح سواه، وما زال الناس يفعلون بأعدائهم ما هو أشد من هذا، فقد نقض بنو قريظة عهودهم مع المسلمين في أشد ساعة مرت عليهم يوم الأحزاب، وخانوهم في أحلك مرحلة من مراحل صراعهم مع المشركين، وكان من الممكن جدًا لو أن رسول الله أطلق سراح بني قريظة وتركهم يسيرون في أرض الله الواسعة كغيرهم أن تُكرر هذه المحاولات من الغدر بالمسلمين، وأن يحاول كل حاقد أن يلقي بسهمه في جملة السهام، ويجرب حظه في محاولة القضاء على المسلمين، فإن أفلح فذاك، وإلا فأرض الله واسعة، ولا تكلفه المشكلة إلا كلمات معسولة يستمطر بها عفو رسول الله، ويستدر بها رحمته، وتنتهي الجريمة، وينجو المجرم، لكن سياسة رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكيمة هذه المرة أرادت وبهذه القسوة على القرظيين المجرمين أن يقطع دابر كل محاولة بالغدر بالمسلمين، وأن يضع حدًا لكل تجربة حاقدة من فئة موتورة، فهذا الحكم في بني قريظة هو الحكم الصحيح الذي لا يصح غيره. وصدق القائل:

ووضع الندى في موضع السيف في العلا
مضرٌ كوضع السيف في موضع الندى

ولقد سجل الواقع والتاريخ أن أحدًا له شأن بعد هذا الحدث الجاد لم يغز ولم يجرؤ على الدنو من المدينة المنورة والغدر بأهلها. وفي هذا نزل قوله تعالى: «وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديرا» . الأحزاب -26 27 وبعد أن حكم بما حكم على بني قريظة، وأقر الله عينه، وأجاب دعاءه الذي دعا به يوم أصيب، انفجر جرحه، وتجدد نزف الدم منه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده، وأبو بكر وعمر والمسلمون، قالت عائشة رضي الله عنها: فوالذي نفسي بيده إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر، وقال عمرو بن شرحبيل: إن سعد بن معاذ رضي الله عنه لما انفجر جرحه، احتضنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعلت الدماء تسيل على رسول الله، فجاء أبو بكر الصديق فقال: وا انكسار ظهراه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَه، فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون. وروي أن جبريل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم معتجرًا بعمامة من إستبرق، فقال: يا نبي الله، من هذا الذي فتحت له أبواب السماء، واهتز له العرش؟ فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجر ثوبه، فوجد سعداً قد قُبض. فلما دفنه وانصرف من جنازته، جعلت دموعه تحادر على لحيته ويده في لحيته، وسمع أمه رضي الله عنها تندبه وهي تقول:

ويـــل أم ســـعـــد ســـعـــدا
بـــــراعـــــة ونجـــــدا
ويـــل أم ســـعـــد ســـعـــدا
صـــــرامـــــة وجـــــدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كل نادبة كاذبة إلا نادبة سعد. وههنا يحسن أن نورد بعض الأحاديث والأخبار والآثار التي وردت في فضله، وعلو مكانته في الدنيا والآخرة: روى الترمذي بسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوب حرير، فجعلوا يعجبون من لينه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتعجبون من هذا؟ لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذا. الله أكبر لم يقل صلى الله عليه وسلم لثياب سعد أو كسوته أو جبته أحسن من هذا بل قال لمناديله، والمناديل هي في العادة أدنى ما يكون من الأشياء، ولكن مناديل سعد هي بهذا الحسن الذي يعجب منه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بالك إذن بثيابه وحلله رضي الله عنه. وقال أنس: لما حملت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون: ما أخف جنازته -تعريضًا بخفة شأنه-، وذلك لحكمه في بني قريظة، فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الملائكة كانت تحمله.

وختاما رحمك الله يا سيدنا سعد بن معاذ فقد أسلمت فصدقت وبايعت فوفيت، وعاهدت فبررت، ودعوت الله فأجبت، وطلبت الشهادة فنلتها وقد حققت أمنياتك، فبت قرير العين في جنان عرضها كعرض السموات والأرض.

كفاح طويل توّج بانتزاع حقوق العمال

سيزار شافيز.. غاندي أمريكا

عبدالهادي خضر

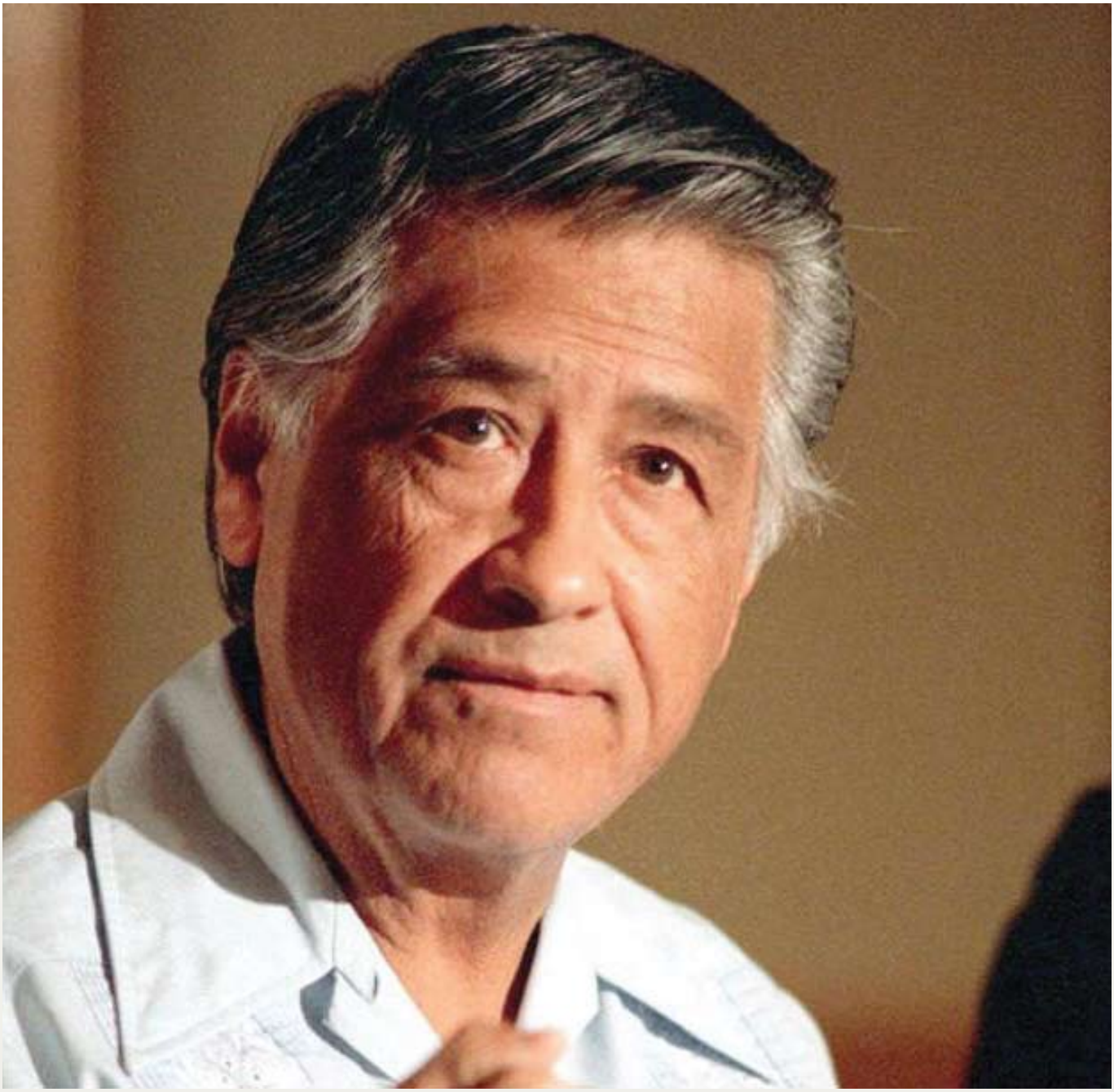

قضى الشطر الأكبر من عمره في كفاح مرير ضد أعتى البرجوازيات في العالم، فتحدى سطوة ونفوذ كبار الرأسماليين في أمريكا، وتمكن بعد نضال مديد من إجبارهم على إعطاء عمال المزارع حقوقهم في الأجر والمسكن والضمان الصحي، فاستحق قول الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما فيه: (أعطى صوتا لمن لا صوت لهم، حيث وقف وقفة رجل شجاع من أجل الكرامة في الوقت الذي بدا فيه أنه لم يكن هناك أحد يولي أي اهتمام على الإطلاق بعمال المزارع الغائبين عن الأنظار، الذين كانوا يحصدون غذاء بلادنا، وهم يعانون الفقر والخداع على أيدي أصحاب المزارع).

كانت المهمة شبه مستحيلة، لكن إصرار المناضل الحقوقي سيزار شافيز على ضرورة رفع الظلم عن العمال وإعادة حقوقهم المالية والإنسانية جعل تحقيق العدالة همه وشغله الشاغل طوال مشوار حياته. لقد كان منهم، وعانى ما عانوه، وذاق مرارة التمييز بين العمال اللاتينيين والعمال الأمريكيين حيث كان العامل الأمريكي يتقاضى نحو ثلاثة دولارات في الساعة مقابل تسعين سنتا للعامل اللاتيني، ناهيك عن إجبار أصحاب المزارع العمال اللاتينيين على دفع دولارين في اليوم للعيش في أكواخ من الصفيح أنشأوها لهم في المزارع بدون مياه عذبة وبلا كهرباء.

فمع اندلاع الثورة المكسيكية في عام 1910، فر العديد من المكسيكيين إلى الولايات المتحدة خوفا من القتل وبحثا عن حياة جديدة. ومع تزايد الطلب الأمريكي على العمال الزراعيين ازداد تدفق المهاجرين من أمريكا اللاتينية. ولما كان القانون يفرض على العمال مغادرة البلاد حال توقفهم عن العمل تعاظم جشع أصحاب المزارع فاستغلوهم أبشع استغلال، ماديا ومهنيا وأخلاقيا. زد على ذلك أنهم كانوا محرومين

يقود مسيرة في العام 1966 تطالب بخطة ضمان للعمال

اعتمد مبدأ اللاعنف كمنهج في مشوار نضاله ضد ظلم وجشع أصحاب المزارع

من تشكيل النقابات ومن حق التصويت، فلا صوت لهم ولا أذن تسمع شكواهم.

الحظ الوحيد لأولئك أن الظروف أجبرت سيزر شافيز أن يكون بينهم، ذلك أنه ولد يوم 31 مارس 1927 في ولاية أريزونا لأبوين أمريكيين من أصل مكسيكي كانا يملكان مزرعة وبقالة، فألحقاه بالمدرسة لمواصلة تعليمه، لكن مع فقدهما أملاكهما ومدخراتهما إبان فترة الكساد الكبير انتقلوا إلى كاليفورنيا في عام 1939، وعملا في المزارع، لكن سيزار رفض أن تلتحق أمه بالعمل، فتخلى عن التعليم والتحق بالمزارع بدل أمه لمساعدة أهله، فشهد خلال سنوات عمله و معاشرته لرفاقه العمال معاناة حقة لا تكافأ بغير أجور زهيدة لا تسد رمقا ولا جوعا، كما عاين من خلال تجربته الشخصية، السرقة التي يقوم بها مالكو المزارع لعرق العمال والعنصرية المقيتة التي كانوا يعاملونهم بها.

حين وعى جيدا وتجاوز العشرين من عمره أراد شافيز تحسين حياة هؤلاء العمال الذين انتهكت حقوقهم المدنية وأجبروا بفعل الحاجة على العمل بأجر منخفض جدا، وفي ظروف غير آمنة، إلا أنه مُنع ورفاقه من تشكيل نقابة تجمعهم وتكون ناطقة باسمهم كغيرهم من العمال غير اللاتينيين، فانتسب في العام 1952 لمنظمة خدمة المجتمع آملا أن يطرح قضية العمال من خلالها، وراح يدعو الأمريكيين من أصل مكسيكي إلى الانتساب إلى المنظمة واكتساب حق التصويت، كما أخذ يجول في أنحاء كاليفورنيا ويلقي الخطابات الداعمة لحقوق العمال، لكنه اكتشف بعد سنوات أن المنظمة لا تلبي طموحاته، فاستقال، ثم عمد إلى تأسيس تنظيم خاص بالعمال المزارعين.

وفي عام 1962، أعلن عن تأسيس جمعية المزارعين الوطنية (نفوا)، وأوضح في بيان تأسيسها أن الهدف أن يعامل العمال كبشر: «نحن لسنا حيوانات، ولسنا عبيدا، ونطالب بأن نعامل كبشر». ومنذ البداية، عمد إلى بناء ائتلاف واسع يتكون من نشطاء الحقوق المدنية والطلاب والعمال ورجال الدين، ورفع مبدأ (لا للعنف). انطلق بعد ذلك لتوعية العمال وتعريفهم بحقوقهم، واعتمد في ذلك على عدد من المتطوعين ووجههم للتواصل مع المزارعين في نحو تسعين مدينة لشرح مفهوم الأجور والضمان الصحي وإعانات البطالة. كما كثّف نشاطه في المجال الإعلامي فطبع المنشورات ووزعها على مختلف السوبرماركات والمحلات، واستطاع أن يتواصل مع عدد من برامج الإذاعة لشرح حقوق العمال.

وأكد تشافيز منذ البداية على ضرورة الالتزام بعدم العنف، حتى في مواجهة العنف الذى يمارسه أصحاب المزارع. «نحن مقتنعون بأن اللاعنف أقوى من العنف وأنه الداعم الأكبر لأية قضية عادلة وأخلاقية». وعلاوة على ذلك، كان يعلم أنه إذا استخدم المضربون العنف، فإن المزارعين والشرطة لن يترددوا في إخماد الإضراب بالعنف.

في الثامن من سبتمبر من العام 1965 بدأت لجنة عمال مزارع العنب من الأمريكيين الفلبينيين في (ديلانو) إضرابا عن العمل احتجاجا على عدم ارتفاع الأجور، فوقف معهم شافيز بمنظمته بشغف، وبدعم منه زاد عدد معسكرات العمال المضربة من عشرين إلى ثمانية وأربعين معسكرا. إثر ذلك تم الاتفاق على دمج جمعية شافيز بلجنة عمال كاليفورنيا وإطلاق اسم اتحاد عمال المزارع عل المولود الجديد. وبعد ستة أشهر، قاد شافيز مسيرة تاريخية لعمال مزارع العنب في كاليفورنيا انطلقت من مدينة (ديلانو) وقطعت أربعمئة كيلو متر حتى وصلت مبنى ولاية كاليفورنيا في (ساكرامنتو) وكانت أطول مسيرة احتجاج في الولايات المتحدة. بدأت المسيرة في 17 آذار، وكان على المتظاهرين الوصول إلى (ساكرامنتو) في غضون خمسة وعشرين يوماً، أي في اليوم الذي يصادف أحد الفصح في 10 نيسان.

كان هدف شافيز من هذه المسيرة تعميم النضال المنظم حتى يتم الاعتراف بحقوق عمال المزارع، والضغط على السلطات العامة لكي تتحمل مسؤولياتها في النزاع الجاري. وقد طالب المتظاهرون خلال المسيرة بالإضراب عن استهلاك العنب حتى تلبية مطالب العمال، وكانت المسيرة تجتذب في كل مدينة تمر بها أنصارا جدداً، فضلا عن التغطية الإعلامية. وخلال المحطة الأخيرة من الرحلة، أعلنت شركة ضخمة للصناعات اعترافها بمنظمة شافيز وموافقتها على زيادة قدرها 35 سنتا في الساعة، وبناء قاعة توظيف للعمال. وكان هذا أول انتصار ملموس للحركة.

كسر صيامه بحضور والدته وزوجته وروبرت كينيدي

اتخذ من الصيام وسيلة لمواجهة العنف والتشدد والاحتجاج على التمييز والغبن

يقود مسيرة عام 1999

مع والدته خلال مسيرة في العام 1975

وأدت هذه الأنشطة إلى تحركات مماثلة في جنوب تكساس في عام 1966، حيث قام عمال الفاكهة في مقاطعة ستار بولاية تكساس بمسيرة مماثلة إلى أوستن. كما ألهمت حركة تشافيز العمال في الغرب الأمريكي الأوسط في تأسيس اتحادين مستقلين، كما تم تأسيس اللجنة المنظمة لتنظيم العمل الزراعي في أوهايو في صيف عام 1967، حول تشافيز تركيزه من الإضراب إلى مقاطعة على نطاق البلاد من عنب كاليفورنيا دعما لحقوق العمال الزراعيين. وحث شبكة واسعة من المستهلكين على مقاطعة العنب، وتم الضغط على سلاسل السوبر ماركت لعدم شراء العنب، في محاولة للفت الانتباه إلى محنة العمال الزراعيين، وبالتالي الضغط على أصحاب المزارع للتوقيع على عقود مع موظفيهم.

تواصل الإضراب لمدة خمس سنوات، وأحدث بلبلة في البلاد رغم محاولات أصحاب المزارع كسر الإضراب باستدعاء عمال

آخرين من المكسيك، وملاحقة المضربين بالاعتداء عليهم لفظيا وجسديا ورشهم بالمبيدات. وعندما عاد البعض إلى العمل، حثهم شافيز سرا على الإضراب من داخل المزرعة، من خلال تطوير شبكة داخلية من المخبرين، وإقناع العمال الآخرين لدعم الاتحاد، والانخراط في التباطؤ التكتيكي للعمل. كما بدأت الحركة أيضا في منع العنب من مغادرة مراكز التوزيع في جميع أنحاء البلاد. وقد وفر العمل المنظم دعما أساسيا للحركة، حيث تمكنت النقابات داخل وخارج الولايات المتحدة من إضافة نفوذ للمقاطعة والمساعدة في وقف شحنات العنب.

أمام ذلك استجاب عدد قليل من أصحاب المزارع، وأبرموا عقودا شبه منصفة مع عمالهم. ومن جهتها عقدت لجنة مجلس الشيوخ المعنية جلسات استماع حول الاضراب، وخلال ذلك أعرب عضو اللجنة روبرت كينيدي عن دعمه للعمال المضربين. وعلى الرغم من ذلك استمرت غالبية العمال يدورون في الدوامة ذاتها من عدم الانصاف، ما حدا بقسم من أعضاء اتحاد شافيز إلى الدعوة إلى نهج أقل سلمية للعمل المدني، فغضب شافيز ورفض بشدة.

وكرد على المطالبة بتصعيد العنف قرر تشافيز الشروع في صيام مفتوح عن الطعام حتى العودة إلى الالتزام بمبدأ اللا عنف. وتردد صدى صيامه

الاحتفال بذكرى مولد شافيز

أوباما يضع الورد على ضريح شافيز

أوباما: شافيز أعطى صوتًا لمن لا صوت لهم ووقف وقفة رجل شجاع من أجل الكرامة

حتى وصل الكثيرين من رجال الدين، الذين أعلنوا عن دعمهم الكامل له ولمبدئه السلمي، كما أرسل مارتن لوثر كينغ الابن برقية له تقول: «نضالاتنا منفصلة لكن هدفها واحد وهو الحرية والكرامة والإنسانية». وبعد 25 يوما أعلن عن قطع صيامه في تجمع ضم السيناتور روبرت كينيدي وتم فيه التعهد بمواصلة النهج السلمي في حركة المطالبة بالحقوق. وإضافة إلى دعم كينيدي حصل على دعم الرابطة السياسية المكسيكية الأمريكية ذات الياقات البيضاء، مما منح الاتحاد نفوذا سياسيا إضافيا.

وأخيرا، في ربيع عام 1970، وقع عدد من أصحاب المزارع عقودا منصفة مع العمال، مما أنهى مقاطعة اقتصادية طويلة ومؤلمة، وبدأوا يبيعون بضاعتهم بأسعار مميزة في جميع أنحاء البلاد، مما زاد من الضغط على أصحاب المزارع الآخرين. وعندئذ دخل 25 مزارعا كبيرا في مفاوضات ووقعوا عقودا مماثلة. وبذلك تم منح عشرة آلاف عامل تمثيلا رسميا في النقابات وأجورا منصفة وخطة للتأمين الصحي وحدود السلامة على استخدام المبيدات في الحقول. أخيرا، وفي العام 1975 تم منح عمال المزارع حق تكوين النقابة وأيضا الحق في التصويت.

في العام 1988 انتشر استخدام المبيدات الحشرية بدون تقنين، فراح أصحاب المزارع يستخدمونها بشكل مفرط، إضافة إلى بدء استخدامهم للمواد الهرمونية لتسريع نمو المحاصيل وإكثارها، ما أدى إلى تزايد حالات الإصابة بمرض السرطان، فاعترض شافيز الذي كان قد تجاوز الستين من العمر على ذلك، ولما لمس تجاهل احتجاجه عمد إلى الصوم عن الطعام، ورفض كل التوسلات له بالإفطار وواصل الصيام لأكثر من خمسة وثلاثين يوما، فوهنت قوته وتدهورت حالته الصحية، ما أدى إلى وفاته.

واليوم، صار لعمال المزارع الحق في انتخاب ممثليهم بأنفسهم والمطالبة بتحسين ظروف العمل من داخل المؤسسات البرلمانية الأمريكية، وهو ما سجل بأحرف من نور في تاريخ شافيز وتاريخ أمريكا ذاتها، التي جعلت من عيد ميلاده عطلة رسمية يحتفل بها في ولاية كاليفورنيا، كما تم منحه بعد وفاته وسام الحرية الرئاسي عام 1994 من قبل الرئيس بيل كلينتون، إضافة إلى إطلاق اسمه على الكثير من الشوارع والمدارس داخل أمريكا وخارجها في مدن أمريكا اللاتينية.

مستقبل هويتنا

حسن حامد

لم يعلم قارون أن بطاقة السحب الآلي التي في جيوبنا، تغني عن مفاتحه التي يعجز عن حملها أشد الرجال، ولم يعلم كسرى فارس أن الأريكة الموجودة في صالات بيوتنا أكثر راحة من عرشه، وقيصر الذي كان عبيده يحركون الهواء من فوق رأسه بمروحة مصنوعة من ريش النعام لم ير المكيفات التي نمتلكها، في كل غرف منازلنا، وهرقل الذي كان يشرب الماء البارد من إناء فخار ويحسده من حوله على ذلك، لم يشرب من مبرد المياه الموجود في بيوتنا، ورحلة الحج التي كانت تمكث بالأشهر على ظهور الإبل، ليست أبدا كرحلة حجنا التي لا تستغرق بالطائرات المكيفة سوى ساعتين أو أكثر.

نعيش حياة لم يعشها الملوك ولم يحلموا بها، ذلك لأن فضل الله عظيم فيما أتاحه لنا من تقدم علمي اتسع ليشمل كل المجالات، حتى وصل بنا إلى ما يطلق عليه الثورة الصناعية الرابعة والتي تبشر بتطور علمي هائل خلال السنوات القليلة القادمة لم يحدث من قبل على مستوى كافة الحضارات.

وبنظرة سريعة على ما كان وما أصبحنا عليه، نجد على سبيل المثال أن أكبر شركة في معدات التصوير وهي شركة «كوداك» كانت تستحوذ فى عام 1998م، على 85 % من سوق الفوتوغرافيا بالعالم، وكان لديها 170 ألف موظف، ومع ظهور الهواتف المحمولة المزودة بكاميرات رقمية تكبدت خسائر كبيرة وأصبحت مدينة للبنوك بعد الثورة في التصوير الديجيتال وبه انتهى عصر التصوير الورقي بالكامل، وما حدث لهذه الشركة هو نفسه ما سيحدث لشركات كثيرة خلال السنوات العشر القادمة، وذلك بسبب التطور الرهيب الذي يحدث حاليا في الذكاء الاصطناعى للكمبيوتر في كافة المجالات، بما يعد بمستقبل مشرق جدا للبعض وحالك السواد للبعض الآخر.

وقد تمكن العلماء بالتقنيات المتقدمة في كاميرات التصوير من رصد حالة الشمس في العشر الأواخر من رمضان، بهدف تحديد ليلة القدر، وهي تقنيات أمكن بها التعامل مع حالة السماء وهي صافية أو بها غيوم وضباب، ومن

تطبيقات متقدمة أظهرت شركات، وأخفت شركات والمجد للذكاء الاصطناعي

المعلوم أن الشمس تكون صباح هذه الليلة بلا أشعة، وقد اعتمد العلماء على عداد حرارة وعداد رطوبة وكاميرا فلترية ترى الشمس من وراء الحجب والغيوم والأمطار، وهي كاميرا رقمية تصدر 32 بيانا تحليليا، تحدد من خلالها قوة أشعة الشمس وتمكن العلماء بوساطة تلك الأجهزة من متابعة الشمس متابعة جيدة، حتى كان يوم التاسع والعشرين حيث تغير كل شئ، الشمس الحارة التي لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة أكثر من 3 ثوان أصبحت بدون أشعة وقد انخفت الحرارة 7 درجات والرطوبة 27 درجة، ليتأكد العلماء أنها ليلة القدر، كانت - كما جاء في الحديث الشريف - كالقمر أو كالطست، كما تأكدوا أنها ليلة ثابتة تتكرر كل عام في التاسع والعشرين من رمضان وليست متغيرة، خاصة وأنها - نظريا - ذكرى نزول القرآن، والذكرى لا يتغير موعدها.

ومن المتوقع أن تنهي تطبيقات الكمبيوتر معظم الصناعات الحالية، فشركة أوبر وهي أكبر شركة للتكسيات في العالم ما هي إلا عبارة عن تطبيق موبايل تمتلك تاكسيا واحدا، وقد منح الذكاء الاصطناعى الكمبيوتر القدرة على فهم العالم أكثر من الإنسان الذي صنعه، وقد أبهر الكمبيوتر العالم هذا العام حين تغلب على بطل العالم في لعبة «جو» وهي لعبة صينية معقدة بدرجة أكبر من الشطرنج، ولكل حركة فيها أكثر من مائتي احتمال، وقد تمكن الكمبيوتر أن يتعلم اللعبة بنفسه دون مبرمج.

وفي هذا العام أيضا لم يعد شباب المحامين بالولايات المتحدة يجدون عملا، لأن شركة أي بي إم أعدت برنامجا للاستشارات القانونية اسمه «أي بي إم واطسون» يقدم الاستشارات القانونية بدقة تتخطى نسبة 90 %، فى حين أن دقة المحامين الشباب لا تتجاوز 70 %، وهو ما يعني أن فرص العمل مع تطبيقات الكمبيوتر أصبحت قليلة، ويشير ذلك إلى أننا لن نحتاج في المستقبل إلى أكثر من 10 % من المحامين الموجودين حاليا، ولن يكونوا غير استشاريين فقط، وكذلك الأطباء، لأن برنامج أي بى إم واطسون، ليس متخصصا فى الاستشارات القانونية فحسب بل هو متخصص أيضا فى الاستشارات الطبية، ويمكنه تشخيص السرطان بدقة أفضل 4 مرات من العامل البشري، والمعروف أن الفيس بوك مزود بتقنية التعرف على وجوه الأشخاص بمجرد وضعها على الإنترنت، وذلك بدرجة أكبر من الإنسان، ويتوقع العلماء أن 70% من الوظائف الحالية لن تكون موجودة في المستقبل، وينصح العلماء الشباب بأن يسألوا أنفسهم سؤالين مهمين قبل أن يتخصصوا: أولا هل هذا التخصص سيكون موجودا في المستقبل؟، والسؤال الآخر هل يمكن تطبيق هذا التخصص على الهاتف المحمول؟.

ويتوقع العلماء أن عام 2018م سيشهد تشغيل أول سيارة ذاتية القيادة والتي سوف يمكنها السير في الشوارع بدون رخصة ثم بعدها بعامين، سوف يغزو هذا النوع من السيارات العالم، مما سيكون له فوائد جمة، منها أن الراكب سيتمتع برحلته داخل السيارة دون توتر أو خوف على سيارته أو حياته، ولن يُطلب منه الانتباه جيدا للطريق، كما لن يكون في حاجة إلى سائق أو استخراج رخصة قيادة أو الذهاب إلى المرور، ولن يكون العالم في حاجة إلا إلى 5 % من السيارات الموجودة حاليا، مما سيترتب عليه تخفيف حدة الزحام وتحقيق معدلات مرتفعة لنظافة المدن، كما سوف تتوفر أماكن كثيرة لركن السيارة دون مقابل، وهذا بدوره سوف يقلل من فرص عمل السائقين، بل إن مهنة القيادة ستكون من المهن المندثرة في المستقبل، كما سوف تقل نسبة الحوادث، فإذا كانت نسبة الحوادث الناتجة عن الأخطاء البشرية تمثل حادثة كل 100 ألف كيلو، فإن حوادث السيارات ذاتية القيادة ستكون حادثة لكل 10 ملايين كيلو.

وتخفيض نسبة الحوادث سيدفع الناس إلى عدم التأمين على حياتهم، مما سيترتب عليه خسائر فادحة لشركات التأمين، خاصة إذا لم تطور من أعمالها وبرامجها مقارنة بشركات فتح لها المستقبل ذراعيه مثل جوجل وأبل وتسلا، لأن هذه الشركات تعتمد حاليا على السيارات ذاتية القيادة، ومن أشهرها السيارة اليابانية «تى إف إكس» (T F X) .

أما على مستوى الكهرباء فإن التقنية المستخدمة في الخلايا الشمسية سوف تتطور تطورا كبيرا، حيث سيتم توليد

التقنيات الحديثة تتدخل في حياة الإنسان وقد تطيل عمره وتقبح خلقه

الكهرباء ذاتيا داخل المنازل، ومع حدوث هذا التطور ستقل أسعار الكهرباء وستقل تبعا لها أسعار الوقود، حيث سيتم الاعتماد على الطاقة النظيفة وسيتم الاستغناء عن الفحم في إنتاج الطاقة كما سيساعد ذلك في تحلية مياه البحر وتوفير المياه للمناطق الأكثر فقرا والتي تعاني من الشح المائي، حيث إن كل متر مكعب من المياه المالحة يحتاج إلى 2وات /ميل كهرباء لتحليته.

وعلى مستوى الصحة وعلى غرار فيلم «ستار تريك» يوجد جهاز حاليا اسمه تراى كوردر (tricorder x priz)، هذا الجهاز يأخذ عيِّنة من نَفَس الإنسان ومن دمه وصورة من قرنية العين، ويخرج نتيجة 54 تحليلا مختلفا يتنبأ بالحالة الصحية للفرد، مما يجعل معامل التحاليل والفحوصات تغلق أبوابها، كما أن هناك تطبيقاً حالياً اسمه «وودز» يعرف مزاج الفرد في لحظة، ويتوقع العلماء قريبا أن العالم سيعيش على التطبيقات الإلكترونيةبشكل تام، وستكون هناك تطبيقات يمكنها كشف الكذب من ملامح الوجه، على غرار تطبيقات الهاتف التي تطرد الذباب وتستخدم كريموت كونترول لكل الأجهزة، وتطبيقات إنعاش الذاكرة وقياس مستويات الكلوستورول في الدم والضغط والسكر والدهون وضربات القلب والنبض وغيرها، كما أنهم يتوقعون أن النت كوينت أو العملة الموجودة على النت، سيلجأ الناس إلى تخزين مدخراتهم فيها أكثر من الذهب.

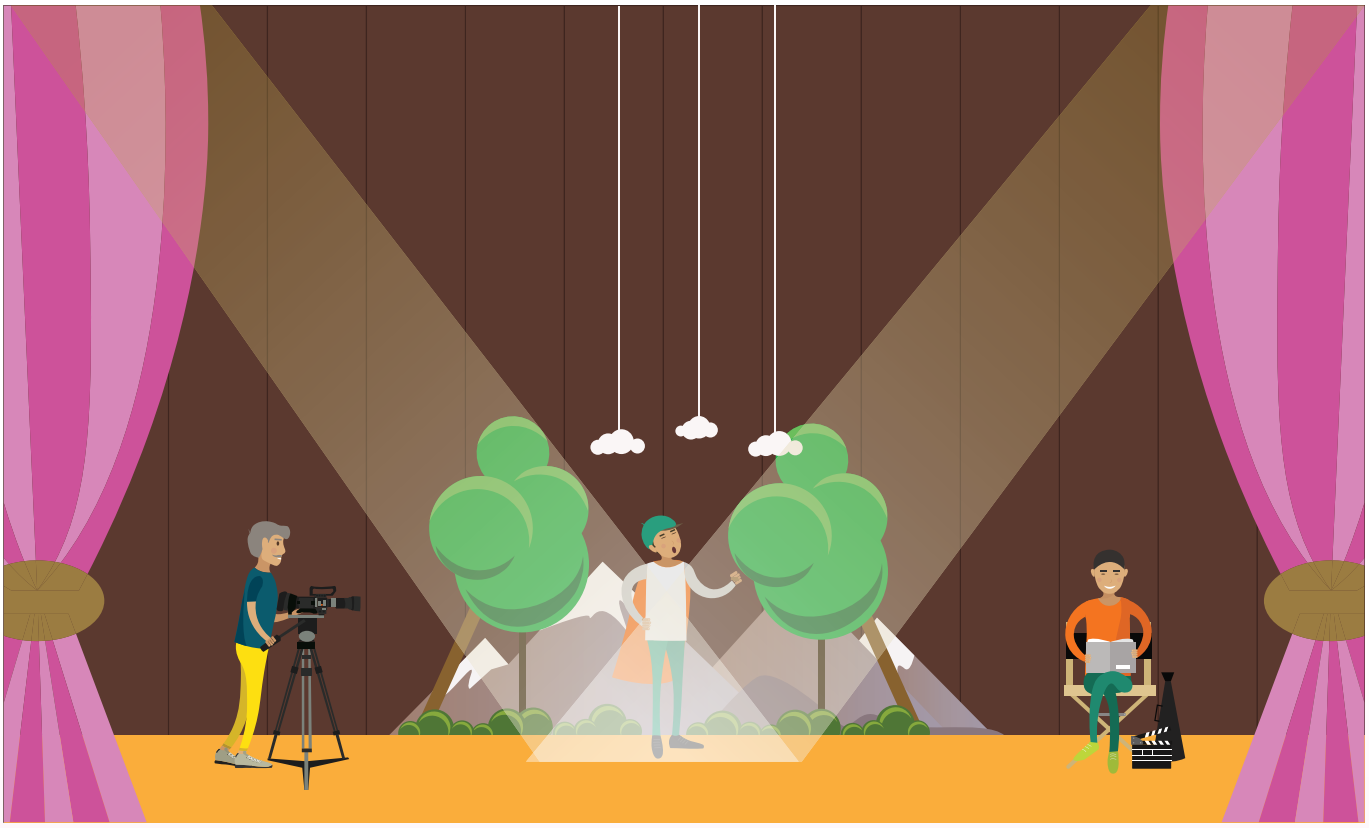

المسرح والتلفزيون

ثنائية الفن والجمال

المسرح بوسعه إقامة علاقات فنية وجمالية مع مختلف وسائل الاتصال الجماهيري والثقافي

د. أسامة خالد المسباح

من مركز الشيخ جابر الأحمد الثقافي انطلق الإعلان الرسمي عن رؤية (كويت جديدة) التي تسعى إلى تحقيق الحياة الكريمة والمستقبل المشرق للأجيال الحالية ولأبناء الكويت الذين سيتولون زمام المبادرة في بناء الدولة العصرية الحديثة التي يتطلع إليها الجميع.

منذ تمّ اختراع التلفزيون في ثلاثينات القرن الماضي، ليكون وسيلة اتصال جماهيرية جديدة تختلف في مقوماتها وركائزها عن المسرح والسينما. عمل المسرحيون على الاستفادة من هذه الوسيلة بما يخدم المسرح، ويساهم في تطويره، وتشجيع حضور عروضه. وبالتالي نشأت علاقة فنية جديدة بين المسرح وهذه الوسيلة الإعلامية الجديدة، فتعددت أشكال الاستفادة المسرحية من التلفزيون. وهو ما يشير إلى أن المسرح بوسعه أن يقيم علاقات فنية مع مختلف وسائل وأدوات الاتصال الجماهيري والثقافي. وهي خاصية جيدة تؤكد مرونة المسرح، وقابليته للاستفادة من مختلف العلوم والاختراعات المحيطة به، والتي تمنحه عمقاً كبيراً،

ودرجة عالية من التواصل مع المتلقي، وهو المشاهد.

المسرح والتلفزيون علاقة ثنائية

كما نشأت من قبل علاقة جيدة وناجحة بين المسرح والإذاعة، فقد تكررت ذات العلاقة أيضاً مع التلفزيون، الذي « يعتبر اليوم من أكثر أجهزة الاتصال الجماهيري، انتشاراً وتأثيراً، فهو يخاطب العين والأذن معاً، بالصوت والصورة والحركة، والعين تجذبها الحركة أكثر من أي حاسة أخرى، والتلفزيون هو وسيلة الكترونية لنقل الأخبار والأفكار والمعلومات والثقافة والفنون والعلوم. وهو جهاز عائلي أو أسري يجمع الأسرة، ويدخل غرفة النوم، ويقدم رسالته الإعلامية، إلى خليط من الثقافات ومختلف الأعمار، وقد اعتبر ظهور التلفزيون، كوسيلة اتصال بصرية جديدة واسعة الانتشار، ثورة كبيرة من الثورات التقنية التي حققها القرن العشرون، إذ إن الاعتماد على الصورة سيصبح فيما بعد من أهم عوامل الاتصال الجماهيري، وكما يقول روبرت واينر: إن بإمكاننا الحصول على أفضل رجل في العالم من حيث كونه مراسلاً وكاتباً في آن واحد، ولكن تقريره الإخباري سيؤول إلى السقوط، ما لم تتوفر له الصورة المناسبة».

ضمن هذه العلاقة الفنية، استفاد المسرح من التلفزيون، كما استفاد التلفزيون من المسرح. أمّا استفادة المسرح

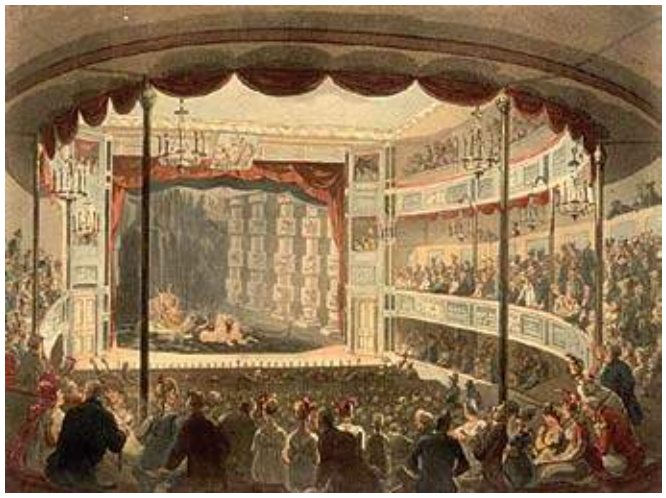

بيتر بروك أخرج مسرحيته (الماهابارتا) للتلفزيون عام 1988 حتى لا يتم تشويهها من قبل مخرج النقل التلفزيوني.

من جهاز التلفزيون فيمكن إجمالها في الجوانب الرئيسة التالية:

– تقديم أخبار المسرح ومتابعة كل نشاط مسرحي جديد، والتعريف به، وتسليط الضوء عليه، ليتعرف المشاهد المحب للمسرح عن ما هو الجديد في هذا العالم الثقافي.

– بث الإعلانات عن العروض المسرحية التي تقدم ليلياً في دور العرض المسرحي، على اعتبار أن التلفزيون وسيلة إعلان مهمة بالنسبة للمشاهد. فالإعلان هنا بالصوت والصورة الناطقة المتحركة، خلاف الإعلان في الصحافة التي يكتفي بالصورة الفوتوغرافية الجامدة، وخلاف الإعلان الإذاعي الذي يكتفي فقط بالصوت.

–تقديم وبث العروض المسرحية المسجلة، والمخرجة تلفزيونياً بوساطة مخرج نقل تلفزيوني. وهذا من شأنه تشجيع المشاهد على محبة المسرح، والذهاب مستقبلاً إلى دور العرض المسرحي لمشاهدة العروض المسرحية الجديدة.

– ساهم التلفزيون مساهمة إيجابية وكبيرة في توثيق وتسجيل العروض المسرحية، للاستفادة منها في المستقبل، سواء في بثها، كما ذكرنا وفق ما تقتضيه الخريطة البرامجية للتلفزيون، أو اخضاع هذه العروض للدراسة في البحوث العلمية. والتعرف على تفاصيل الجوانب التقنية من: أزياء، وألوان، ومكياج، واكسسوارات، وسينوغرافيا، وموسيقى، ومؤثرات، وأحياناً الإضاءة. أو الاستفادة من هذه العروض المسجلة، حينما يتم إعادة عرضها ثانية في مناسبات أخرى للتعرف على التفاصيل الإخراجية، لأنها مدونة وموثقة بالصوت والصورة.

– تقديم البرامج الثقافية والفنية التي لها علاقة بالمسرح، ورواد المسرح، ونجوم المسرح، من كُتّاب ومخرجين وممثلين، وتقنيين، وكذلك تحليل العروض المسرحية من وجهة نظر نقدية للتعرف على إيجابيات العمل وسلبياته، والكشف عن أفكاره وأهدافه من ناحية فنية وجمالية.

– تمّ تقديم نوع جديد من المسرح، وهو مسرح التلفزيون، أي الكتابات المسرحية التي تتم كتابتها وفق معايير التلفزيون ذاته، وليس المسرح. وكذلك إخراجها وفق معايير الإخراج التلفزيوني وليس الإخراج المسرحي الصرف. وقد شاع هذا اللون من العروض المسرحية التلفزيونية في العالم في الخمسينات والستينات، فيما انتشر في تلفزيونات الوطن العربي في ثمانينات القرن العشرين.

أما التلفزيون فقد استفاد من المسرح فيمايلي:

– الدراما بحد ذاتها.. فكانت المسرحيات تُنقل في البدايات دون مونتاج، ثم دخلت مرحلة المونتاج، وأخيراً تمّ التوصل إلى تكنيك الكتابة الدرامية التلفزيونية التي تختلف عن طبيعة وتكنيك، الدراما المسرحية.

– استفاد التلفزيون من المسرح بنجومه وفنانيه وفنييه

الذين ساهموا في بناء الدراما التلفزيونية الخالصة بعيداً عن أجواء الدراما المسرحية.

- ظهور أساليب الإخراج المسرحي المتطورة حينما يتم صناعة عرض مسرحي تلفزيوني.

- الاستفادة من جمهور المسرح لحضور المسرحيات التلفزيونية المسجلة داخل استوديوهات التلفزيون.

ويوماً بعد يوم تتكشف العلاقة بين المسرح والتلفزيون بشكل جيد، خاصة مع تطور العلوم الفنية، وتطور الدراسات البحثية التي تجمع بين التلفزيون كوسيلة اتصال جماهيري، والمسرح كأداة مهمة من أدوات الثقافة.

علاقة تاريخية

تحدثت ماري إلياس، وحنان قصاب حسن عن نشأة هذه العلاقة بين المسرح والتلفزيون، و عن أهمية هذه العلاقة من جانب إعلامي وفني، في كتابهما، المعجم المسرحي الذي جاء فيه: «يلعب التلفزيون كوسيلة اتصال جماهيرية دوراً مهما في التعريف بالمسرح ونشر أعماله من خلال بثها على الشاشة الصغيرة. وقد أدت هذه العلاقة بين التلفزيون والمسرح إلى خلق اختصاص الإخراج التلفزيوني.

للمسرح وإلى تشكيل تقنيات وجماليات خاصة جعلت عمل المخرج التلفزيوني للمسرح يطغى أحياناً على عمل المخرج المسرحي.

في بدايات التلفزيون لم

الإنسان يحصل على 90% من معلوماته عن طريق العين، و 8% عن طريق السمع، و 2% عن طريق الحواس

تبادل المنافع بين المسرح والتلفزيون لا يتوقف ولا ينتهي، فهو مستمر باستمرار تقدم وتطور التقنيات والأفكار

ساهم التلفزيون بإيجابية فاعلة في توثيق وتسجيل العروض المسرحية، ومنح المسرح التلفزيون الدراما وممثلي الدراما

تكن التقنيات تسمح بتسجيل الأعمال المسرحية، ولذلك كان البث المباشر من صالات المسرح هو الإمكانية الوحيدة لنقل الأعمال على الشاشة الصغيرة. في يومنا هذا سمح التصوير بالفيديو بتسجيل وبث الأعمال بشكل متكرر، وبطرح المسرحيات المسجلة على شرائط فيديو تجارياً

وفن إخراج المسرحيات للتلفزيون يتطلب خبرة خاصة تجمع بين المعرفة بالمسرح وبتقنيات التلفزيون، وتتطلب التوفيق بين شكلين مختلفين من التلقي والإدراك. ففي صالة المسرح تكون للمتفرج الحرية في توجيه بصره نحو ما يرى وانتقاء العلامات التي تهمه، أما شاشة التلفزيون فإن استخدام الكاميرا هو الذي يحدد زاوية الرؤية ويؤطر الصورة من خلال التركيز على تفاصيل معينة والتصوير في لقطات مقربة.

من جهة أخرى فإن انتقال الصوت في صالة المسرح يتعلق بشكل العمارة المسرحية وبتمديدات الصوت في الصالة، في حين تكون هناك ضرورة عند التسجيل للتلفزيون لتأطير الصوت من خلال تركيب ميكروفونات خاصة للبث التلفزيوني، أو إلغاء الصوت أثناء التسجيل وإجراء عملية دوبلاج لاحقة ومستقلة. نتيجة لذلك فإن المخرج التلفزيوني يلعب دوراً مستقلاً في توجيه إدراك المتلقي وفي تركيب المعنى، وفي تقديم قراءة معينة للعمل، وفي نجاح النقل التلفزيوني تقنياً وفنياً أو فشله.

انطلاقاً من هذه الخصوصية، فإن بعض المخرجين المسرحيين لا يوافقون على بث أعمالهم في التلفزيون خوفاً من أن تتغير قيمتها الفنية، أو يقومون هم أنفسهم بإخراجها للتلفزيون.

البحث عن السعادة والخلود

مصطفى سليمان

السعادة حلم بشري أبدي. ومسيرة الحضارات البشرية، منذ العهود البدائية، وعصور الأساطير في الحضارات، الكبرى، وحتى نهاية البشرية بقضاء إلهي، أو بحماقة البشر، هي مسيرة البحث عن السعادة المفقودة، والحلم بالعيش في عالم النعيم الخالد، دون شقاء، ودون موت!! لكن ما مفهوم السعادة؟ ومن السعيد حقاً؟

بحسب الكتب السماوية، كان الإنسان الأول قد وُهب، عبر آدم وحواء، السعادة الأبدية في دار الخلود؛ حيث لا شقاء في تحصيل متطلبات استمرارية الحياة؛ فكل شيء متوفر بين أيديهما. ولا موت هناك، بل خلود. وكان ذلك مشروطاً. ويمكن أن نقول إن السعادة هنا، من الوجهة الدينية، هي طاعة المشيئة الإلهية. حتى جاءت لحظة الغضب الإلهي، حين خضعت أمنا حواء لإغواء الشيطان – الأفعى؛ فأكلت من تلك الشجرة المحرّمة(شجرة معرفة الخير والشر ، وشجرة الخلود) وأطعمت آدمَ؛ فتم العصيان الأول، والخطيئة الأولى، وحلّت اللعنة الإلهية على بني البشر بالطرد من دار السعادة الأبدية إلى أرض البلاء والابتلاء؛ أرض الشقاء، والموت، والبعث، والحساب:

«... ويا آدم اسكنْ أنت وزوجك الجنةَ فكُلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (19) فوسوس لهما الشيطان ليُبدي لهما ما وُوري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربُّكما عن هذه الشجرة إلا أنْ تكونا مَلَكين أو تكونا من الخالدين(20) وقاسَمَهُما إني لكما لمن الناصحين(21) فدلّاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدتْ لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورقِ الجنة وناداهما ربُّهما ألم أنهَكُما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدوٌّ مبين(22) (سورة الأعراف).

مفهوم السعادة أمر شاق من الناحية الفكرية والفلسفية، بعكس مفهومها في الأديان

«... وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكُلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين، فأزلّهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه، وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين «سورة البقرة / 35»

وهكذا أضاع أبو البشر وأمهم السعادة الأبدية في دار الخلود العليا، وهبطا إلى الأرض ليقوما مع نسلهما بإعمار الدنيا، والبحث عن السعادة المفقودة، والحلم بالخلود.

مفهوم السعادة إذاً ، وفق النشأة الأولى للبشر دينياً، طاعة المشيئة الإلهية، في تنفيذ الأوامر والنواهي. لذلك سيكون اختبار الإنسان في الحياة الدنيا مماثلاً لاختباره في الحياة الأخرى قبل الخطيئة الأولى:

(فأما من طغى × وآثر الحياة الدنيا × فإن الجحيم هي المأوى × وأما من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى× فإن الجنة هي المأوى (سورة النازعات –37 41)

فالنعيم والسعادة والخلود مكافأة إلهية لمن أطاع ونهى النفس عن هواها. والجحيم والعذاب والشقاء عقاب إلهي لمن عصى مشيئة الله. ومما لا شك فيه أن المشيئة الإلهية ليست ضد مصالح البشر، فلا يوجد دين، يحرّض على الرذيلة أو ارتكاب الخَطايا.

وهناك، بشكل عام، من يرى أن السعادة هي الرّضا النفسي ، أي القناعة. وهي نوع من الاستسلام لواقع المرء، يفسره بعضهم بقضاء الله وقدره، وبعضهم بالرضا النفسي الخاص، طلباً للراحة النفسية من عبء التفكير بواقع البؤس والحرمان أو الفقر... الذي يعيشه الإنسان.

ونقف عند قصيدة مشهورة منسوبة إلى الإمام الشافعي، وقيل إنها ليست له. ويهمنا المضمون الفكري والنفسي منها. وقد وقفت مليّاً عند بيتين من القصيدة الشهيرة (دعِ الأيام) والتي مطلعها:

دع الأيام تفعل ما تشاء
وطبْ نفساً إذا حكم القضاءُ

وهذان البيتان هما:

ورزقُكَ ليس يُنقِصُه التّأني
وليس يزيد في الرزق العناءُ
إذا ما كنتَ ذا قلب قنوع
فأنت ومالكُ الدنيا سَواء.

صحيح أن القناعة أحياناً تكون ملاذاً نفسياً، أو فلسفياً يُسوّغ فيه القَنوعُ قناعتَه. فالفيلسوف اليوناني(ديوجين) كانت قناعته فلسفية عندما كان يجلس على قارعة الطريق بملابسه الرثّة، وكلبُه باسطٌ ذراعيه بالرصيف قربَه. ألم يقل الإسكندر المقدوني حين وقف أمامه معرّفاً نفسه إليه بأنه الإسكندر فقال له: « وأنا ديوجين الكلبي.اغربْ عن وجهي فقد حجبتَ عني نور الشمس»! نعم، هذه قناعة

فلسفية نُجلّها من فيلسوف. لكنّ لا نرتضيها لنا، ولا لأي إنسان طموح، وإلا توقفت الحياة عن البناء والنّماء.

ودهاقنة السياسة والحكم، وبعض رجال الفكر والدين من فقهاء السلاطين يزجّون بالجماهير في كهوف القناعة ودهاليزها التي لا مخرج منها إلا إلى... العالم الآخر! فالإسلام دين عمل دائب، وليس دين تصوّف وزهد. وهذا لا يحتاج إلى شواهد قرآنية أو أحاديث نبوية أو أدلة فقهية. والمسلم الحق، كأي إنسان عقلاني، يؤمن بأن القضاء قدرٌ لا مردّ له. ولكن كيف لايُنقص التأنّي الرزقَ؟ أليس في هذا تناقضٌ مع حثّ الإسلام على العمل والسعي في مناكب الأرض؟ ثم كيف لا يزيد العناءُ في الرزق؟ فكيف

في الأساطير الإنسانية غنى ومعانٍ رمزية مكثفة لمفاهيم السعادة والخلود والوجود والمصير

إذاً تُجمَع الأقوات والثروات ؟ أليس بالكدّ والعناء؟ هذه دعوة للجلوس على قارعة الطريق مثل ديوجين الكلبي ! وانتظار انهمار الذهب والفضة من السماء!

وكيف يكون الفقير القنوع مثلَ مالك الدنيا سواء بسواء؟ هذه مقولة فلسفية روحانية زهدية تصوّفية...ولا تمتّ بصلة لمنطق علم الاجتماع، وقوانين علم الاقتصاد.

بفلسفة القناعة الزهدية تصبح الأمة الإسلامية أفقر أمة على وجه الأرض. وهذا مناقض للروح الإسلامية الثورية التي هي في الواقع ثورة حضارية انقلابية على التخلف والجمود الفكري، والفقر المادي والروحي. وعلينا أن نؤمن بمقولة المليونير اليوناني أوناسيس الذي كان يقول: «لم أكن منذ طفولتي أؤمن بأن 1+1 = 2». وعلينا أن نؤمن بحكمة المتنبي:

إذا غامرتَ في شرف مَروم
فلا تقنع بما دون النَجوم
وأضيف من عندي معارضاً القصيدة المنسوبة إلى الشافعي:
دعِ الأيام يُجريها القضاءُ
وكنْ نجماً يعانقه الفضاءُ
ولا تقنعْ بما تأتي الليالي
فليس لقانع فيها ارتقاءُ
«إذا ما كنتَ ذا قَلب قنوع»
فأنت وما قنعتَ بهِ هباءُ
ولن يسعى إليك غنىً وفيرٌ
وأنت وزاهد الدنيا سواءُ
فعشْ تبكي على فقر بئيس
فلن ينجيك من فقر بكاءُ.

ومن الناس من يرى أن المال والشهرة هما السعادة. يقول الروائي الإنكليزي سومرست موم: المال هو الحاسة السادسة التي بدونها لا تعمل الحواس الخمس الأخرى. لكن هذه الحاسة السادسة: المال، قد تكون سبباً في الشقاء، عندما تتعطّل ، وتعطل بقية الحواس. يتابع سومرست موم: ومَن يشتر اليوم شيئاً لا يحتاج إليه، فسيأتي عليه يوم لا يستطيع شراء ما يحتاج إليه حقاً.

فالشهرة والمال قد يكونان سبباً في البؤس والشقاء، بل والانتحار. تذكروا انتحار ملكة الإغراء العالمي مارلين مونرو، وانتحار المطربة داليدا،

والكاتب الأمريكي الشهير ديل كارنيجي مؤلف الكتب النفسية التي علّمت البشر كيف يعيشون سعداء، وبخاصة في كتابه: دع القلق وابدأ الحياة.!!

وهل الحياة الهانئة في القصور تُحقق السعادة ؟ في تراثنا قصة رائعة لزواج معاوية بن أبي سفيان من البدوية الأعرابية ميسون البحْدلية، حيث لم يرقْ لها العيش في رحاب القصر الأموي، فحنّت إلى باديتها حيث الحرية. وقالت قصيدة من أروع شعر الحرية أو التحرر من عبودية المرء الحر للقصور، وكانت القصيدة سبباً في طلاقها من معاوية وهي حامل بيزيد ولما ولدته أخذه معاوية، ومن أبياتها:

لَبيتٌ تخفق الأرياح فيه
أحبُّ إلي من من قصر منيفِ
ولبسُ عباءة وتقرّ عينـي
أحبُّ إليّ من لبس الشفوفِ
وأصواتُ الرياح بكل فجّ
أحبُّ إليّ من نقر الدفوفِ
وكلبٌ ينبح الطُّرّاقَ دوني
أحبُّ إليّ من قطّ ألوفِ.

إذاً، تحديد مفهوم السعادة أمر شاق من الناحية الفكرية والفلسفية، بعكس مفهومها في الأديان. فهناك تعارض كبير بين الأفراد، والمفكرين، والأدباء، والفلاسفة في تحديد مفهوم السعادة. « وعلى الرغم من الحضور المتواصل تقريباً للآراء المتعارضة، فإن معظم الفلاسفة قد مالوا إلى قبول وجهة نظر أفلاطون بإن السعادة يجب أن تقوم على نوع معين من التناغم بين الرغبات والأهداف »

ولكن نتساءل: ما طبيعة هذه الرغبات، أو الشهوات ؟ وأية أهداف نسعى إلى تحقيقها؟ تبدو القضية شائكة وفيها مدى واسع للجدل والخلاف.

الإنسان يتمنى الغنى، والشهرة، والصِّبا والجمال، والخلود والنعيم الأبدي... وأحياناً الموت والفقر!... فهو عبد لأمانيه المتناقضة المتصارعة التي لا تنتهي إلا بموته. يقول الشاعر ميخائيل نُعَيمة في قصيدته حبل التمنّي:

نتمنى وفي التمني شقاءٌ
وننادي يا ليت كانوا وكنّا
ونصلي في سرّنا للأماني
والأماني في الجهر يضحكن منّا
فصغيراً قد كنت أطلب لو كنت،
كبيراً، ولي صفات الكبير
وكبيراً لو عدت طفلاً صغيراً
واستردّتْ نفسي نعيمَ الصغير
وفقيراً لو كان لي بحر مالٍ
وغنياً لو كان لي ضعف مالي
وأراني مازلت عبد الأماني
أتمنى لو كنت في غير حالي.

وأحب دائماً العودة إلى الأساطير الإنسانية ففيها غنى معرفي ومعان رمزية مكثفة لهموم الإنسان الوجودية المصيرية، فهي ليست مجرد هلوسات تعكس دونية العقل البدائي للإنسانية. ففي تاريخ الحضارات الكبرى أساطير غنية في تصوير عالم الجحيم والنعيم، والشقاء والسعادة، بما يعكس توقاً دفيناً في أعماق البشر إلى حلم الخلود في دار السعادة الأبدية، بعيداً عما يلاقيه من شقاء في حياته الأرضية.

ويحدثنا هوميروس عن (جزائر السعداء)، فقال إنها تقع عند مجرى أوقيانوس. وجاء في شعر هسيود أن زيوس جعلها مسكناً لأبطال اليونان الذين سقطوا كشهداء أمام طيبة وطروادة. يقول فيهم هسيود: « لقد لفّهم الموت بأكفانه ولكن زيوس بن كرونوس وهبهم الحياة وأسكنهم بعيداً عن الناس، وجعلهم يسكنون في أطراف العالم بعيداً عن الآلهة الخالدة. وفيهم تحكّم كرونوس، رب الزمن، وهم يعيشون بنفس مطمئنة في جزر السعداء...». ونلاحظ ارتباط الموت دائماً بحلم الخلود والعيش في كنف السعادة الأبدية.

لذا نجد مشاهد العالم الآخر، وما فيه من موت، وبعث، وخلود، وسعادة وشقاء. ونذكر هنا رسالة الغفران للمعري. والتوابع والزوابع لابن شُهَيد الأندلسي. ومن التراث العالمي الكوميديا الإلهية لدانتي والفردوس المفقود لملتون... إنها رحلة البحث عن السعادة المفقودة، والخلود في عالم الموت والفناء الأرضي، حتى يوم البعث.

الإنسان عبد لأمانيه المتناقضة التي لا تنتهي إلا بموته

الهويـة Onlife

طارق الأحمد

على الرغم من الإنجازات المتواصلة التي حققتها الثورة الرابعة التي يشهدها العالم منذ عدة سنوات، والمتمثلة في عصر المعلومات ، في معظم مجالات الحياة، وانتشار تطبيقاتها في كل مكان، فإن الإشكاليات الكثيرة التي صاحبت هذه الثورة لا تزال تؤرق المجتمعات وتشغل بال الجهات الحكومية والخاصة، فضلا عن الأفراد المعنيين بالآثار الاجتماعية والثقافية الكبيرة المترتبة على هذه الثورة وتطبيقاتها العديدة.

ولربما كان التساؤل عن التأثير الهائل لثورة المعلومات على الهوية من أكثر الهموم التي تؤرق المعنيين بتداعيات هذه الثورة وآثارها على نسيج المجتمعات وشخصية أفرادها، وعلى التكوين العام لأي مجتمع من حيث العرقيات والطوائف والأديان والتوجهات، إضافة إلى اندماج الفرد بالمجتمع أو ابتعاده عنه وانزوائه في ركن خاص به منشغلا ليل نهار بالتطبيقات العديدة لها ، كفيسبوك وتويتر وأنستغرام وتيليغرام ويوتيوب وواتس أب.

ويرى الدكتور لوتشيانو فلوريدي في دراسة خاصة بهذا الصدد أن الذات الاجتماعية هي القناة الرئيسية التي من خلالها تمارس تكنولوجيات المعلومات والاتصالات، وبخاصة وسائط الإعلام الاجتماعي، تأثيرا عميقا في هوياتنا الشخصية. إنها تُغير الظروف الاجتماعية التي تعيش فيها، وتُعَدّل ما تتمتع به من شبكة علاقات وتدفق للمعلومات، وبشكل غير مباشر تُعيد تشكيل طبيعة ونطاق القيود والقدرات التي تحكم تقديم ذاتك إلى العالم وإلى نفسك، ومن ثم ربما يجري تحديث جذري لذاتك الاجتماعية، ينعكس على تصوراتك الذهنية عن ذاتك، وهو ما يفضي إلى تشكيل هويتك الشخصية.

بناء الهويات الشخصية عبر الانترنت ظاهرة عبثية ومشينة ولا تستحق التأمل الجاد

وفي تلك الدراسة المعنونة (الهوية: الحياة دائمة الاتصال (أونلايف ONLIFE) يرى الباحث أن هناك بعض المُعضلات التقليدية بشأن الهوية الشخصية، تتعلق هذه المُعضلات بالاستمرارية عبر الزمن أو عبر السيناريوهات المحتملة، مثل: هل أنت نفس الشخص الذي كنته في العام الماضي؟ هل سوف تكون نفس الشخص إذا كنت قد نشأت في مكان مختلف؟ كَمْ سوف يتبقى من ذاتك إذا ما غُرس عقلك في جسد مختلف؟

الانغماس في التطبيقات

وبالنسبة إلى شخص اعتاد اجترار مثل هذه الأسئلة، فإن ظاهرة بناء الهويات الشخصية على الإنترنت ربما تبدو برمتها عبثية ومُشَتتة، نوعا من «الفلسفة للمبتدئين»، ولا تستحق التأمل الجاد. ولكن في العالم الحقيقي، فإن عملية البناء هذه هي واقع ملموس وقضية مُلحّة لعدد يتزايد سريعا من الناس الذين عاشوا كل حياتهم الراشدة منغمسين بالفعل في هذه التطبيقات ، كفيسبوك وتويتر والمدونات، وغير ذلك .

وهؤلاء الناس يرون التساؤل عن هوياتهم الشخصية على الإنترنت أمرا طبيعيا، ويتعاملون مع شخصياتهم على أنها قيد التطوير، ويجتهدون يوميا لتشكيلها وتحديثها. إنه جيل مُفرط في الانشغال بالذات، جيل يستخدم فيسبوك وتويتر وسكايب، والرسائل الفورية ليبث في تدفق مستمر وجهات نظره الذاتية وأذواقه الشخصية، وتفاصيل حياته الخاصة حتى تجاربه الحميمة.

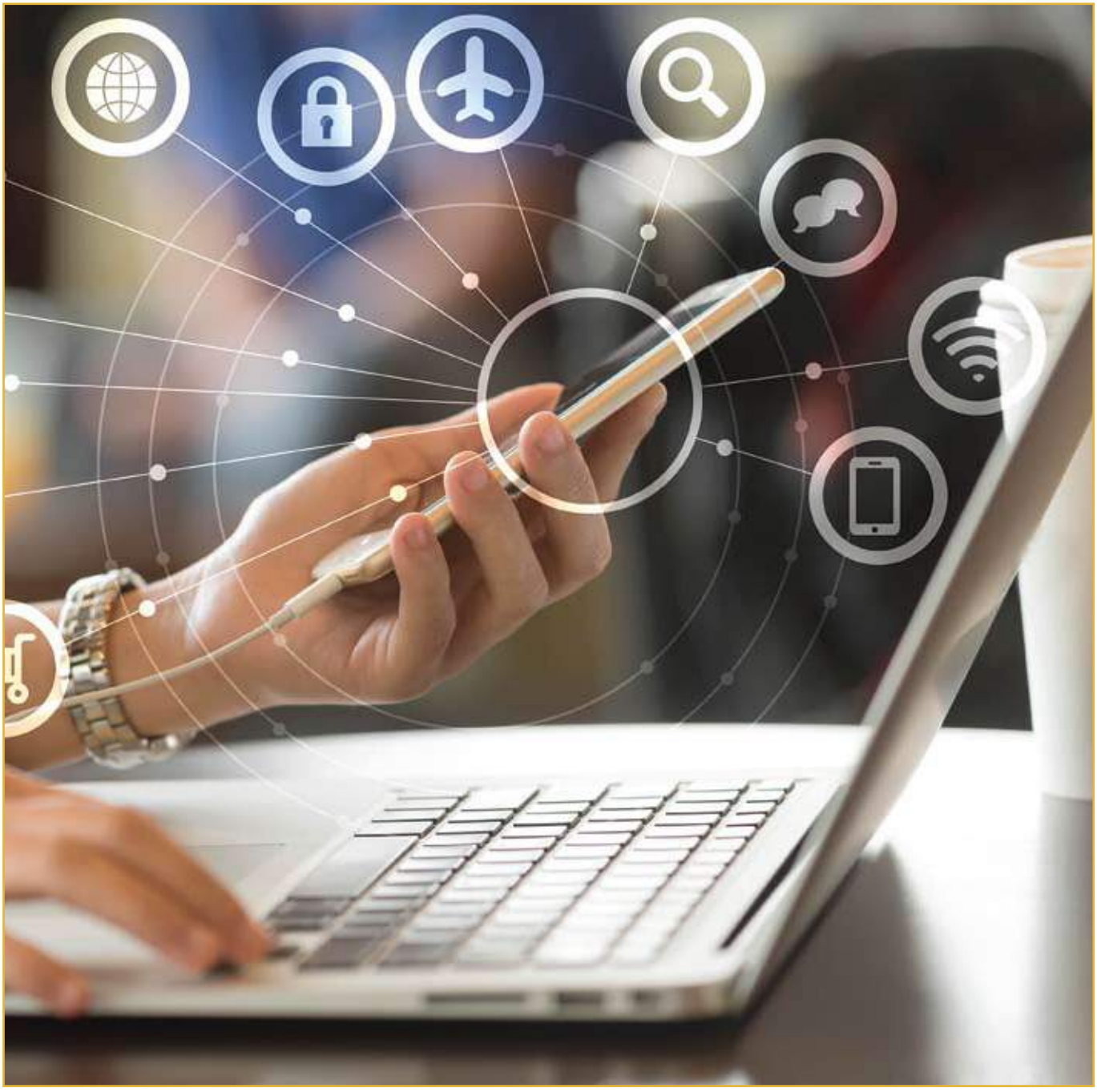

معضلة الهوية

إن الأسئلة بشأن هوياتنا الشخصية، وتصوراتنا الذاتية، وذواتنا الاجتماعية هي بالطبع أسئلة قديمة قدم السؤال الفلسفي :من أنا؟. لذلك يمكن للمرء أن يظن أنه لا يمكن أن يقال شيء جديد معقول بشأن هذا الموضوع. لكن هذا السلوك سيُعد متجاهلا تماما للتغيرات الحالية، كما يقول فلوريدي.

لقد رأينا كيف تصبح حياة الإنسان سريعا مسألة تجربة حياة متصلة دائما (أون لايف onlife)، و تعيد تشكيل القيود والمحددات وتُتيح قدرات جديدة في تطور هوياتنا، واكتسابها الواعي، وتعيد تشكيل فهمنا الشخصي والجمعي للذات. وحاليا نحن نعترف بشكل متزايد بأهمية ظاهرة شائعة غير مسبوقة، ظاهرة يمكن وصفها بأنها بناء الهويات الشخصية على الإنترنت. من نحن؟ ومن سنصبح؟ ومن الذي يمكن أن نكونه؟ عندما يتزايد ما نقضيه من وقتنا في الغلاف المعلوماتي(الإنفوسفير)؟

ويرى الباحث أن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات أدت إلى زيادة تأثير البقاء، ففي البيئات الرقمية يكون من

السهل تحديد وإعادة تحديد الشيء نفسه على وجه الدقة عبر الزمن. المشكلة هي أن الافتراضي ربما يعمل أو ربما لا يعمل بشكل مناسب، ربما يكون قديما أو مُحدَثا، لكنه لا يتقدم في السن؛ إنه يصير قديما ولا يَهرَم. عندما تفكر في ذلك، لا شيء يتقادم يستطيع أن يتقادم بدرجات متفاوتة. وعلى النقيض، فإن الذات تتقدم في السن، وقد يحدث لها ذلك بقدر أقل قسوة. والتأثير، الذي بدأنا نشهده والذي مازلنا نتعلم كيف نتعايش معه، هو عدم الاتساق الزمني بين الذات وموطنها على الإنترنت بين أجزاء من الذات تتقدم في السن (مثل وجهي) وأجزاء تصير قديمة (على سبيل المثال صورة وجهي على رخصة القيادة الخاصة بي). عدم التزامن يكتسب معنى جديدا في ظروف الحياة المتصلة دائما (أون لايف onlife).

الذكريات والتفاعلات: تثبيت الذات

مما شك فيه أن الذاكرة تؤدي دورا بالغ الأهمية في بناء الهوية الشخصية. ومن الواضح أن أي تكنولوجيا يكون هدفها الأساس هو تدبير الذاكرة، سوف يكون لها تأثير كبير في كيفية تطوير الأفراد وتشكيل هوياتهم الشخصية. وليست المسألة مسألة كَمّ فحسب؛ فجودة الذاكرة الشخصية، وإتاحيتها، وإمكانية الوصول إليها، واستدعاؤها ربما يؤثر بعمق في مَنْ نظن أنه نحن ومَنْ يمكن أن نصبح؟!.

ويرى الباحث أن الذكريات المتماثلة (القابلة للتكرار) لا يمكن إلا أن تكون ذات تأثير عميق في تشكيل الكيفية التي يفهم بها الأشخاص الذين يتعرضون لها ماضيهم. ويفسرون ما حدث لهم، ومن ثم فهي ذات تأثير عميق في الكيفية التي يفهمون بها معنى وجودهم.

جيل onlife عبر الـ online مفرط في الانشغال بالذات ومجتهد يومياً للتشكيل والتحديث في عملية مستمرة لتأكيد الوجود

وحتى وقت قريب، كانت النظرة المتفائلة هي أن تكنولوجيات المعلومات والاتصالات مَكّنت الأشخاص من قولبة هوياتهم الشخصية، لكن المستقبل يبدو مختلفا بعض الشيء. الذكريات

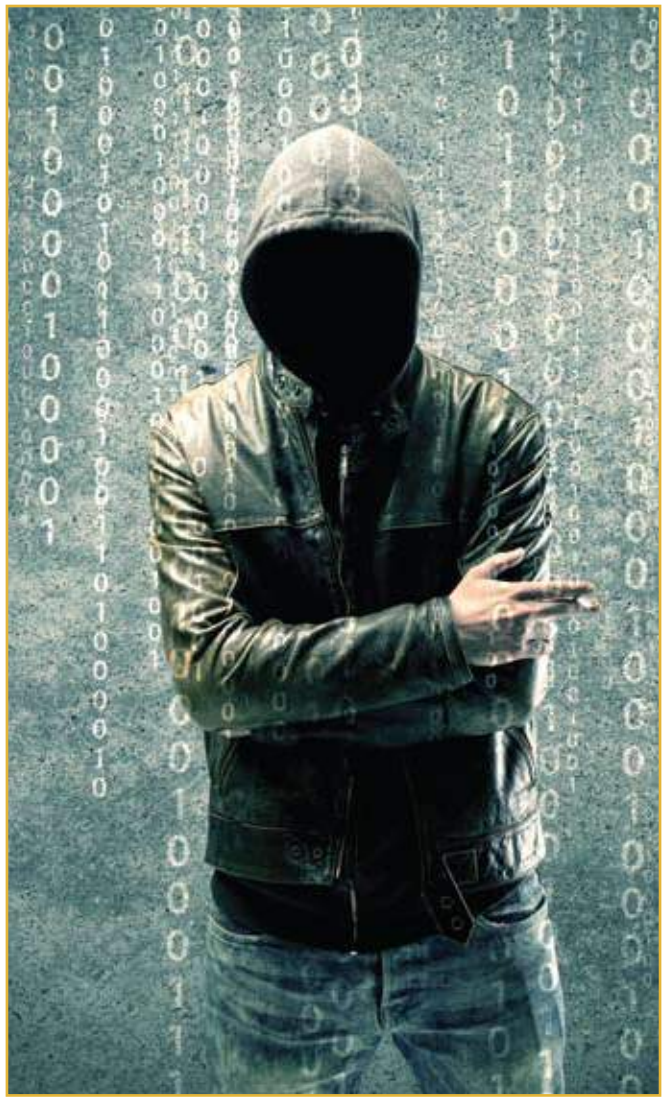

المُسَجّلة تميل إلى تجميد وتعزيز طبيعة موضوعاتها وكلما زادت الذكريات التي نُراكمها ونُخرجها، زادت القيود السردية التي نضعها على بناء وتطور هوياتنا الشخصية. إن زيادة ذاكرتنا تعني أيضا انخفاض درجة الحرية التي ربما نتمتع بها في إعادة تعريف أنفسنا، فالنسيان هو جزء من عملية بناء الذات. ربما يكون الحل المحتمل للأجيال القادمة هو ألا يسرفوا في أي شيء يميل إلى بلورة طبيعة الذات، ويصيروا أكثر براعة في التعامل مع مهارات جديدة أو مُحَسنة لبناء الذات.

ويختم فلوريدي بالقول إن التقاط، وتنقيح، وحفظ، وإدارة الذكريات الخاصة بشخص ما للاستهلاك الشخصي والعام، سوف تتزايد أهميتها ليس فقط فيما يخص حماية الخصوصية المعلوماتية، ولكن أيضا فيما يخص بناء هوية شخصية بشكل صحي أكثر. وينطبق الشيء نفسه على التفاعلات. إن تجربة الحياة الدائمة الاتصال لا تراعي الحدود بين البيئة المتصلة بالإنترنت online والبيئة غير المتصلة offlife المختلفتين.

ونتيجة لذلك، يتزايد انخفاض نطاق الأكاذيب الساذجة عن ذات ما على أي موقع من مواقع التواصل الاجتماعي في هذه الحالة، وربما يكمن الحل في خلق مزيد من القدرات والفضاءات الأكثر أمنا للتعبير عن الذات وبنائها.

الفنون الجميلة في التراث الإسلامي

د. حمد عبدالله الهباد

ترتبط الفنون الجميلة بخاصيتين أساسيتين: (الزمان والمكان)، فالخاصية الأولى هي العلوم الجمالية المرتبطة بالزمان والتي تمثل فنون الموسيقى والرقص أو الفنون الكلامية مثل الشعر الذي يضم الشعر الغنائي والشعر القصصي والشعر التمثيلي والشعر الكوميدي والتراجيدي وغيرها. والتي تمثل النسب الزمانية أو الإيقاعية فيها أساسا للبناء الجمالي. أما فن النثر فيضم فن المقال والقصة القصيرة والرواية وغيرها.

أما الخاصية الأخرى فهي العلوم الجمالية المرتبطة بالمكان والتي تتمثل بفنون العمارة والنحت والرسم والنقش على الزجاج وغيرها .ولا شك أن النسب المكانية والزمانية لا تعد منفصلة بشكل قاطع وإنما ذلك يمثل في مظهرها الخارجي فقط، فإن أمعنت النظر لتلك الفنون أوجدت تداخلا بينها، هذا التداخل يميزه (التذوق الفني) فالمتذوق هو الشخص الذي يستطيع أن يبرز جماليات الزمان في الموقع المكاني وجماليات المكان في الموقع الزماني، حيث إن الزمان يفيد الحركة، والمكان يفيد السكون والربط بينهما بمنظار التذوق تجعل الفاحص يرى ما وراء السكون والحركة من جماليات لا يمكن أن يراها الفاحص العادي. ولا يمكن للمرء الوصول الى هذه المرحلة من تلقاء نفسه بل لعلم التذوق والممارسة دور أساسي للوصول للتذوق الذهني الخاضع للأسس والمعايير الفنية السليمة، ففنون العمارة والنحت على سبيل المثال وهي الفنون المرتبطة بالمكان. المتذوق يستطيع أن يبرز جماليات النسب الزمانية من زوايا وألوان وموتيفات إيقاعية في تشكيلاتها الداخلية ما لا يستطيع الإنسان العادي رؤيته .بل يتعدى ذلك في اجتياز حاجز الزمن للنظر إلى الحضارات الغابرة التي نشأت فيها تلك العمارة والآثار المنحوته أو الرسومات المنقوشة. كذلك اللغة والتي ترتبط بعنصر الزمان، وهي أطوع الأدوات تحقيقا لأغراض الإنسان العملية تتميز بالاهتزاز والوقتية شأنها في ذلك شأن الموسيقى فالشاعر حين يبني بها صورة إنما يبني بمواد إذا قورنت باللون والخط اللذين يستعين بهما الرسام في أعماله الفنية لوجدتها تتطابق تطابقا تاما، لذا فالأدب كله والشعر بصفة خاصة يمكن اعتباره فنا مولدا فهو من جهة موسيقى يقتصر أثرها على النغم واللحن وتتقيد بأصوات متجسدة في لغة بعينها وهو من جهة أخرى يمكن اعتباره شكلا من أشكال الاتصال غير أن سمته الجوهرية هي أنه قالب محرك مثير للخيال.والنثر في اللغة رديف الشعر على الرغم من أنه فن واضح لا لبس فيه لنقل ما يراد نقلة من صور منطقية مجردة فإنه يبقى رغم ذلك محتفظا بنغماته التوافقية للمشاعر.

أما الموسيقى فهي حسية في جوهرها

ويتفاوت تأثيرها حسب طبقة النغمات، ويستمد قوامها صفته من وضعها النسبي في السلم الموسيقي. فالإبداع الفني سمة يتلقاها الفرد من مصدر صاحب العمل الفني سواء بالسمع أو العين أو اللمس فيحاكي به وجدان المجتمع اللغوي والفكري والاجتماعي والتاريخي. لذا فهذا المقال يرتكز في طرحه على نواحي الجمال والإبداع الفني بشكل عام، لذا أمرنا الله تعالى في كتابه الكريم للتمعن بخلق جمالي أبدعه الله عز وجل حيث أمرنا الله تعالى التدبر والنظر فيما أحسن خلقة، يقول عز وجل: ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي أحسن كل شيء خلقة وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه». فمفهوم الإبداع في كتاب الله عز وجل ارتباطه بالعقل الذي خصه الله تعالى للتفكر والتدبر فاتحا آفاق المعرفة والإحساس بالفنون الجماليه الشامله التي أوجدها الله عز وجل في هذه الحياة، والتأمل بمكنونات الكون وما يحتويه من قيم جمالية يلاحظ إدراكها ليس بالبصر فقط بل للبصيرة دور كبير أيضا فيكون نتاجها ترويض النفس وخشوع القلب وسكون العقل. فمواطن الجمال في القرآن الكريم شملت رحاب الحياة عامة لما لها من تأثير مباشر على الإنسان ومشاعره فيدرك عظمة الخالق ويستشعر إبداعه وعظمة إعجازه في خلقه. ولقد تناول موضوع الإبداع الجمالي في القرآن الكريم كثير من المفكرين الإسلاميين قديما وحديثا فمن القدماء : أبوعبدالله محمد الواسطي (306 هجرية) في كتابه (إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه) ويبدو من أهمية هذا الكتاب أن قام عبدالقاهر الجرجاني بشرحه مرتين، وكذلك أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (386 هجرية) في رسالته (النكت في إعجاز القرآن) حيث ذهب إلى أن القرآن معجز ببلاغته وهو أعلى طبقات الكلام. ووضع أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (388 هجرية) رسالة (بيان إعجاز القرآن) ورأى أن بلاغة القرآن ترجع إلى جمال ألفاظه وحسن نظمه وسمو معانيه وتأثيره في النفوس. أما في العصر الحديث فظهر مفكرون إسلاميون منهم: مصطفى صادق الرافعي من أبرز منظري الإعجاز القرآني في العصر الحديث، وذلك نظراً لطبيعة أبحاثه المميزة في هذا الحقل، فهو بخوضه لغمار البحث فيما تأتى له من دراسات قرآنية، استطاع أن يأتي على معظمٍ ما يتصل بظاهرة الإيقاع القرآني، انطلاقاً من حروفه وأسرارها، إلى الوقوف عند نظمه في شموليته. وفي هذا الشأن يقول الدكتور عدنان زرزور: انطلق الرافعي في حديثه عن الإعجاز من الحروف وأصواتها، ثم من الحركة الصرفية واللغوية للألفاظ القرآنية المشتملة على تلك الحروف، حتى ليمكن القول إن عماد حديثه عن إعجاز النظم الموسيقي يعتمد بالدرجة الأولى على الألفاظ أو على الكلمة القرآنية. أما المفكر الإسلامي صبحي الصالح في كتابه (مباحث في علوم القرآن)، فهو في مبحث إعجاز القرآن قد عالج مسائل متنوعة تتعلق بأمر الإيقاع وجماليته، كما أن تركيز الدكتور بكري شيخ أمين وغيره من العلماء على الإيقاعية القرآنية، مردها إلى إيمانهم العميق لما تحدثه من تأثير في الوجدان وما تحدثه من اهتزاز للمشاعر أيضاً.فأنت ترى أن هؤلاء المفكرين الإسلاميين تطرقوا إلى جماليات الموسيقى والإيقاع في القرآن الكريم كركن أساسي في تحريك المشاعر الإنسانية، فالموسيقي اللفظية لها من التأثيرات في النفس البشرية ما لا تجده في باقي الفنون الأخرى من تأثير يستطيع العقل البشري أن يفسره ويرجع ذلك إلى أن في الموسيقى انعداماً لصورة المادة في موضوعها فالأصوات لا هي منظورة ولا ملموسة كما في فنون النحت والرسم حتى يكون لليد والنظر قسط وافر في سهولة إدراكها واستيعاب أصولها، لذلك كان طبيعيا أن يشترك السمع والبصر مع الإحساس والإرادة في تحليل التراكيب الصوتية حين تجس السمع فينتبه العقل فيحدث الشعور بكيفياته المختلفة فحينئذ يتيقن العقل بأنها إما متآلفة على هذا الوجه أو هي متنافرة، فتنفر النفس عن سماعها. وحيث إن مادة الموسيقى هو الصوت فالصوت من بين العلوم الطبيعية حيث يحدث عن الحركة والمادة، فالحركة هي انتقال جسم ما بدافع قوة ما، والمادة هي الجسم المدفوع بالحركة، فمتى كان الجسم من المصوتات فتأثر بالحركة اهتزّ فيكون له صوت، كما في اهتزاز مزامير الحنجرة بأنواع الأصوات الحادثة منها، وهذه يتميز النطق بها بمعونة أعضاء الفم وتجاويف الحلق.وأصل القوة الدافعة لإحداث الأصوات المكوّنه للكلمة، هو دافع الرغبة عند الإنسان في التفاهم، فيحدث عند تصادم الهواء المندفع من الصدر بأوتار الحنجرة وأعضاء الفم وتجاويف الحلق أصوات متباينة يدركها السامع كتعبير جمالي لمعاني القول. والكلمة في ذاتها متى كان النطق بها بدافع هذه الرغبة دون غاية، فإن تأثيرها في نفس المخاطب لا يتعدى تنبيه الشعور فيه إلى مجرد فهم الغرض المقصود منها، وفي هذه الحالة تكون المناسبة بين أزمنة حركاتها اعتيادية كالمألوف في لغة الكلام، ولكن متى تناسبت تناسبا آخر بأن طال زمن إرسال الحروف المصوتة في الكلمة واختلفت مقاطعها على تمديدات من الحدة والغلظ فسمعت مرسلة على نحو يلذ في السماع وتطرب الأذن لسماعها، فإنها بذلك تكون أشد تنبيها وتأثيرا على المخاطب. ومن البديهي أن إرسال الكلمة على هذه الصورة غير الاعتيادي يلزم فيه اشتراك الحس وقوة التصور لإيجاد جنس الإيقاع الموزون الذي يمنع أجزاءها من التفكك حين المد والطيّ والقصر في متحركاتها بالتلحين، فواضح إذا أن أسلوب الألحان يتميز بالتصرف المقبول في أسباب الكلمة بإخراجها ملحونة في تأليف صوتي يجري موزونا بطريقة ما. واللغة العربية بوجة خاص، تمتاز بجنس الارتباط اللفظي في مقاطع الكلمة فيتوفر لها بذلك حسن نظم الشعر ويتوفر لها في صناعة الألحان حسن السبيكيّة بين مقاطع الأصوات من طبع الأصل في اللغة، فيعرض للنغم على هذا النحو مثل ما يعرض لأجزاء القول الموزون.

سؤال الهوية
نحو نسق قيمي إنساني

د. عبد الجبار الغراز

يعتبر التنوع الثقافي نتاجا حتميا لمبدأ الحق في الاختلاف ومظهرا من مظاهره. ولهذا فقد تطلب الأمر، بناء عليه، التفكير بجدية في رسم آفاق جديدة للكونية وللخصوصية، درءا لكل مميز بين الثقافات، أو كل مزايدات إيديولوجية، من شأنها التطاول على الخصوصيات؛ وتعزيزا وتقوية لروابط التواصل والتفاعل بين حضارات العالم المعاصر.

والحديث عن الكونية والخصوصية هو إثارة لموضوع الهويات وطبيعتها وأنواعها. لكن هل يصح الحديث عن الكوني دون وضع ضوابط وقواعد ورسم للحدود بين الخصوصي والكوني، بين المحلي والعالمي؟ وعلى أي أساس يمكن إرساء الهويات، هل على أساس الثبات أم على أساس التغير؟ وبأي معنى يمكن فهم هوية عربية إسلامية «متحولة» و«واعدة» ؟ وإلى أي حد يمكن طرح هذه الأخيرة كبديل عن هذه «الهويات» التي تناسلت بكثرة في المشهد الثقافي والسياسي العربي، منذ مطلع الألفية الثالثة، وأصبحت تُعْتَمَدُ كمرجعيات للثقافة العربية الإسلامية المعاصرة ؟

سؤال الهوية. نحو بناء نسق قيمي عربي إسلامي

نعتقد أن الإجابة عن هذه الأسئلة يتطلب طرح سؤالي الكونية والخصوصية، كما يستلزم بالضرورة طرح أسئلة أخرى مرتبطة بالهوية كتعدد، وبالغيرية كاختلاف، في أبعادهما الأنطلوجية والسيكلوجية والاجتماعية والثقافية والتاريخية الحضارية. ذلك أن الوعي بالذات الفردية والجماعية، لا يعتبر فقط جزءا من هويتهما الثقافية، بل هو مرتبط ارتباطا عضويا بالهوية الإنسانية.

وإقرارنا بهذا التوصيف يجعلنا نفكر، من جهتنا كعرب وكمسلمين، في مآلات الثقافة العربية الإسلامية المعاصرة التي أصبحت تعيش، في أيامنا هذه، تحديات حضارية جد صعبة تجعلها في مفترق الطرق : فإما أن تسلك طريق النجاة الذي يضمن لها الاستمرارية والتفاعلية مع الوضعيات الجديدة الصعبة التي يفرضها عليها محيطها، أو تبقى أسيرة الصراعات التي تعصف بكيانها وهويتها التاريخية، وتصبح لقمة صائغة في يد « لوفتيان عولمي متوحش » لا حدود لرغباته. وطريق النجاة هذا هو مسلك حتمي يدفعها إلى معرفة كيفية تدبير اختلافها وتعددها الثقافي و محاولة تعزيز و تدعيم السلوك الديمقراطي وترسيخ قيم المواطنة الحقة وقيم الاعتراف بالآخر المختلف. لهذا، فسؤال الهوية أصبح يشكل مطلبا أساسيا للثقافة العربية المعاصرة المراهن على التنمية الحضارية. إنه سؤال الخصوصية وسؤال الكونية في ارتباطهما العضوي الدائم والأبدي.

صراع الهويات، صراع فارغ لا معنى له، وهو يجعل من كل خصوصية مرتعا لاستعلاء تتغذى عليه نزعات الإقصاء والتعصب

لقد بات من المعلوم أن ظهور الألفية الثالثة قد صاحبه خطاب فوكوياما المكرس لمنطق نهاية التاريخ. ذلك الخطاب الذي ضيق، باسم الكونية، الخناق على كل خصوصية ثقافية ؛ مما جعل من الكوني فخا منصوبا يستهدف كل تراث عالمي عميق ويصادر قيمه الإيجابية، ليحل قيما استهلاكية محلها.

وسؤال الهوية هذا الذي نبحث فيه، هو مسلك ضروري لكل من يريد أن يتلمس الطريق نحو بناء نسق قيمي إنساني. فهو إن كان لا يقف عند حدود إجابات فلاسفة عصر الأنوار له، إلا أنه، حسب إدغار موران، لا يخرج عن سؤال الأنسنة، ليطالب بتحقيق ما هو أرقى وأعظم : إنسانية الإنسان، وذلك عبر تفعيل نوع من المصالحة بين الكوني والخصوصي، في ظل ثقافة إنسانية عالمية مُوَحّدَةٌ منتجة للتنوع. ذلك أن الكوني يشكل اللحمة الموحدة لثقافات وهويات العالم، كما يعتبر مدبرا لمختلفها ومشتركها في زمن العولمة واقتصاد السوق.

وعليه، يمكن من جانب ثقافتنا العربية الإسلامية، التي تكالبت عليها ويلات ومصائب العولمة الاقتصادية، التفكير في بناء تصور جديد للإنسان العربي المسلم، من أجل إرساء هوية عربية إسلامية متحولة ومنفتحة على قيم الإنسان الكونية ؛ ومتفاعلة مع استراتيجيات هذه الأخيرة الموضوعة في المشترك الإنساني. فمواصلة نفس النهج المتبع منذ زمان، والإبقاء على نفس التصورات القديمة، التي جعلت من الهوية العربية الإسلامية معطى ثابتا لا يتغير مع تغير الزمان والمكان، هو إجراء عقيم لم يعد يجدي أي نفع.

مأزق الهوية العربية الإسلامية

تعتبر الهويات مرجعا للأفكار والتمثلات والأحكام والمعتقدات، التي تمنح الأفراد والجماعات الشعور بالرضا والتوازن وعدم الضياع المؤدي إلى الإحساس بالاغتراب. لكنها لا تغدو بنيات متحولة إلا إذا غادرت أرض التجانس واستطاعت تأسيس كينونتها على كل ما هو مختلف منفتح على عالم الممكنات، متجاوزة به الإطار الضيق الذي تتحدد به الهويات الثابتة.

إذا بنينا وفق هذا التصور الذات العربية الإسلامية، باعتبارها وحدة كلية، فإنه يستحيل النظر إليها، بأي شكل من الأشكال، كمعطى ميتافيزيقي، بل كبناء منفتح على كل الممكنات ومحيل، بالتالي، على التعدد والكثرة. بناء معبر عن هوية متسمة بطابع تركيب يتحدد داخليا وخارجيا بمستويات، أو بالأحرى، بمجالات فرعية نفسية، اجتماعية وثقافية.

فوفق هذه الرؤية، يصح القول أن الذات العربية الإسلامية ستتماهى مع الكوني، بما هو تعبير عن كلية عالمية، لتشكل معه انبعاثا لأنسنة عربية إسلامية معبرة عن هذا القاسم المشترك بين كل البشر، ومعبرة أيضا عن الإنسان العربي المسلم في تعدديته ووحدته الشاملة للكل الإنساني، ودالة على مطمح عربي إسلامي قادر على تدبير الاختلاف والتعدد في الأمة، لاقتسام الخيرات وتحقيق كل عدالة منصفة قادرة على تحويل هوية ديناميكية ومتحولة مفترضة، الساكنة في الأعماق، إلى فعل خلاق ومبتكر مولد للانسجام بين عناصرها.

وقياسا على هذا الافتراض، يمكن القول وبكل أسف، أن الذات العربية الإسلامية، في أيامنا هذه، ليست بخير. فقد محت الأزمات تلو الأزمات وجودها كاختلاف، فبدت للقاصي والداني ذاتا بكينونة مذابة في نمط « وجود مشترك » يتحكم فيه غيرها. وهذا ما أفقدها تميزها وفرادتها وخصوصيتها وعمق لديها الإحساس بالدونية والاغتراب. فالعلاقة التي تجمعها بالغرب علاقة تفاضلية تطبعها الغرابة ويغمرها صراع الهويات وإقصاء البعض للبعض.

يبدو صراع الهويات هذا، الذي يملأ مشهدنا الثقافي والسياسي، مثيرا للشفقة وللحزن الشديد، لأنه صراع فارغ لا معنى له، يجعل من كل خصوصية مرتعا لاستعلاء تتغذى عليه نزعات الإقصاء والتعصب وإرادات القوة والتحلل القيمي. استعلاء يزيد في تضييق الآفاق الرحبة الواعدة بالعطاء الإنساني الذي لا ينضب.

تجاوز ألغام الخصوصية والكونية يكون بالتماهي مع القوانين النابعة من القيم الإنسانية الأصلية

إن اتجاه الذات العربية الإسلامية صوب آخرها الغرب يجب أن تحكمه أساسيات ومعقوليات ضابطة لتلك القصدية المفترضة المتبادلة بين كلا الطرفين. فالتفاعل لا يمكن إلا أن يكون عقيما غير منتج لكل تواصل حقيقي، إذا لم يسع إلى خلق مجال « بين – ذاتي » ينتعش فيه كل تواصل ممكن.

الهوية العربية الإسلامية وسبل الانفتاح على الممكنات

وحتى تستطيع هويتنا أن تخلق مجتمعا عربيا إسلاميا جديدا، تكون له القدرة على تنظيم العلاقات ما بين هوياته المختلفة، لتجاوز مثبطات نهوضه واستقلاله الذاتي، وحتى تستطيع تخطي ألغام كل من مفهوم الخصوصية ومفهوم الكونية وتجنب انحرافاتهما الإيديولوجية، يجب أن تتماهى مع القوانين الكونية النابعة من القيم الإنسانية الأصيلة.

لكن هذا التماهي لا يعني الذوبان الكلي في ثقافة الآخر السائدة، بل يعني التفاعل الإيجابي والبناء، دون المساس بالمقومات الحضارية والتراثية لدى الشعوب المعبرة عن هوياتهم. فلا وجود لهوية خارج التاريخ، سواء تعلق الأمر بهوياتنا العربية الإسلامية أو بالهويات الأخرى المتفاعلة معها سلبا أو إيجابا. وهذا ما يمكن فهمه من خلال التعريف للهوية

الذي يسوقه لنا الباحث عفيف البوني نقلا عن المفكر نديم البيطار من كتابه « حدود الهوية القومية »، ومفاده أن هوية كل أمة تكون مرتبطة بتاريخها الذي يشكلها. وهي بهذا المعنى شبيهة بأرض الوطن، الذي لا يمكن لأحد التفريط فيه أو التنازل عنه. فالولاء للوطن شيء مكتسب يتربى عليه الإنسان ويكون نتيجة حتمية للولاء للهوية. فالأوطان تعرف وتتمايز بهوياتها التي صنعها الفاعلون في تاريخهم الاجتماعي والسياسي.

المواطنة العالمية: حدود الخصوصي والكوني

يكشف مفهوم الخصوصية، حسب المفكر عبد الوهاب المسيري، عن ثوابت إيديولوجية تساهم في تكريس نزعة ثقافية مركزية تجعل من أسلوب التفاضل بين ثقافات شعوب العالم غايتها الأولى، وتدفع، بالتالي، في اتجاه توسيع الهوة ما بين تلك الثقافات، انطلاقا من المعايير التقليدية التي تأسست عليها بعض المفاهيم التي ارتبطت بسياقات زمانية ومكانية معينة وبظروف تاريخية عاشتها أوروبا مع مستعمراتها، كمفهوم التقدم ومفهوم التأخر.

إن مواصلة طرح مفهوم الخصوصية بهذا المعنى الذي يضيق المساحة على الكوني والمشترك الإنساني يفقد هذا الأخير إجرائيته وقيمته العلميتين الكفيلتين بجعله إطارا مرجعيا أساسيا مساهما مع مفهوم الكونية في مد جسور التواصل الحضاري بين ثقافات العالم. وبهذا المعنى،

الترياق يكون في ثقافة الحوار والانسجام لتجنب كوارث عالمية غير متحكم فيها

لا يكتمل المعنى العلمي لمفهوم الخصوصية، في رأي المسيري، إلا إذا شكل إطارا تنظيميا داعيا إلى الانفتاح على كل حضارات العالم، يغرف منها، وليس فقط الانفتاح على الحضارة الغربية وحدها. فالانفتاح بهذا المعنى لا يكون مذيبا للخصوصيات بل معززا ومقويا القدرة على الاندماج للتماهي مع هذا التنوع اللامتناهي والغنى الثقافي الذي يطبع حضارات العالم.

كما يكشف مفهوم الكونية، حسب إدغار موران، عن أسس قيمية مستقاة من عصر الأنوار. أسس حولتها العولمة، إلى ثوابت إيديولوجية صيرت العالم أشبه ما يكون بسفينة فضائية تتجه نحو كوارث غير متحكم فيها. الشيء الذي تطلب الأمر من الحضارة الأوروبية المعاصرة، في نظره، إنتاج ترياق يكون بمثابة مضاد حيوي واق نابع من ثقافة الحوار والانسجام، ومن حضارة عالمية منمية لخصال الحياة المشتركة ؛ تضع حدا للسباق نحو الهيمنة. ثقافة تنهل من النزعة الإنسية العالمية. ذلك أن الثقافة هي مرآة عاكسة لهويات أمم العالم، إذ لا أساس هوياتي دون ثقافة تشكل قاعدة تنظيمية لها ؛ تتأسس عليها تلك الأحكام والمعايير والضوابط السلوكية والقيم الإنسانية الكونية المتماهية مع القيم المحلية.

نفهم من رأي إدغار موران أنه ينبغي البحث في مستويات نظر أخرى مغايرة للمألوف وما درجت عليه أوروبا على الخصوص والغرب على العموم، وطبعت به ثقافات العالم المختلفة عنها. مستويات نظر قد تكشف عنها العلوم الإنسانية مستقبلا، عندما تزداد حدة مفارقات عصر العولمة ويطالب الضمير العالمي بضرورة سن قوانين جديدة عادلة ومنصفة بقصد إخراج مواطنة عالمية، مبنية على حقوق سياسية ومدنية كونية، إلى حيز الوجود. مواطنة عالمية تجعل من كل إنسان (أي إنسان) مواطنا يعيش في عالم خال من الحروب، بكل راحة واطمئنان.

وخلاصة القول، فموضوع الهوية شائك ومعقد ينبغي تناوله وتدقيقه علميا لإزالة الشوائب التي علقت به جراء التوظيفات والاستعمالات الإيديولوجية التي حولته إلى مفهوم فضفاض وضبابي. إن البحث فيه وفي كل ما هو ثقافي وقيمي بغاية التشبث والتعلق بأهداب هوية ثابتة ومغازلة أطيافها السرمدية قد أخذ من الباحثين، لمدة عقود طويلة، كامل جهدهم الفكري والمنهجي بدون طائل، ولم يخلف لمجتمعاتنا العربية الإسلامية سوى الدمار والخراب.

لذا، فقد بات من المؤكد على كل باحث اختصاصي في مجال الثقافة والهوية الحضارية التفطن إلى تداعيات وتحديات الألفية الثالثة والانكباب على الإجابة عن أسئلة الهوية ومكوناتها وأصولها وأسسها وثوابتها ومتغيراتها ومختلف تعبيراتها وتجلياتها وتمثلاتها العميقة، وكذا حدود التعايش أو الصراع بين مختلف مرجعياتها التاريخية.

الوطن في عيون الشعراء والأدباء

د. محمد حسان الطيان

حب الوطن والتغني به والحنين إليه أمر فطري لا يخلو منه أدب من الآداب، ولا لغة من اللغات، وقد ضرب أدبنا العربي بسهم وافر في هذا المجال، إذ تغنى الشاعر العربي منذ قديم الأزمان بوطنه وبلده، وحنّ إلى مرابع صباه وملاعب أترابه وأصحابه، وسأعرض في هذا المقال لنتف متفرقة مما قيل في هذا الباب في كل عصر من عصور أدبنا العربي، وهي مَنْبَهَةٌ على ما وراءها من أدب وشعر يستحق أن يفرد له كتاب بل كتب.

في الجاهلية

وما الوقوف على الأطلال – وهو أصل أصيل من عمود القصيدة العربية القديمة – إلا نوع من هذا التعبير عن محبة الوطن والتغني به، حيث يقف الشاعر على ما بقي من رسوم الديار ويعرض لذكر الأماكن التي عاش فيها، وربما وقف واستوقف وبكى واستبكى واستذكر الديار والصحب ومواقف الوداع والتحمّل والتصبّر والتجلّد والتجمّل... كما فعل امرؤ القيس في معلقته حيث قال:

قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكرَى حبيبٍ ومنزِلِ
بِسِقطِ اللِّوى، بينَ الدَّخُولِ، فحَوْمَلِ
فتُوضِحَ فالمِقْراةِ لم يَعفُ رَسْمُها
لِمَا نَسجَتْها مِن جَنُوبٍ وشَمألِ
رخاءً تَسُحُّ الرِّيحُ في جَنَباتِها
كَساها الصَّبا سَحْقَ المُلاءِ المُذَيَّلِ
تَرَى بَعَرَ الآرامِ في عَرصَاتِها
وَقِيعانِها، كأنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ
كأنّي غَداةَ البَينِ، يَومَ تَحَمَّلُوا
لدَى سَمُراتِ الحَيِّ ناقفُ حَنظَلِ
وُقُوفاً بها صَحْبِي عَليَّ مَطِيَّهُمْ
يَقولونَ: لا تَهلِكْ أَسىً، وتجَمَّلِ

وأنت تعجب من حنين الشعراء في الجاهلية إلى بلاد هجروها لجدبها واستحالة العيش فيها، وانتجعوا مواطن الماء والحياة، فسكنوا ما هو أخصب منها وأمرع. يقول الجاحظ في رسالة الحنين إلى الأوطان:

وترى الأعراب تحنُّ إلى البلد الجدْب، والمحلّ القفر، والحجر الصّلْد، وتستوخم الرّيف، حتّى قال بعضهم:

أتجلين في الجالين أم تتصبّري
على ضيق عيشٍ والكريمُ صبورُ
فبالمصر بُرغوثٌ وحُمّى وحصْبةٌ
ومُوم وطاعونٌ وكلُّ شُرورُ
وبالبيد جوعٌ لا يزالُ كأنّه
رُكامٌ بأطراف الإكام يمورُ

وترى الحَضريّ يُولد بأرض وباءٍ وموتانٍ

وقلّة خِصْب، فإذا وقع ببلادٍ أريف من بلاده، وجنابٍ أخصب من جنابه، واستفاد غنىً، حنّ إلى وطنه ومستقرّه.

وقيل لبعض الأعراب: ما الغبطة؟ قال: الكفاية مع لزوم الأوطان، والجلوس مع الإخوان. قيل: فما الذّلّة؟ قال: التنقّل في البلدان، والتنحّي عن الأوطان.

في الإسلام

ولعل هذا الخلق النبيل من أخلاق العرب في حب الديار وعشق الأوطان يعد من المكارم التي جاء الإسلام مؤيدًا لها، حاثًّا عليها، فقد روي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال يوم خرج من مكة قاصدا المدينة:

«أَمَا وَاللّه إِنّك لَأَحَبُّ الْبِلَاد إِلَى اللّه سُبْحَانَهُ، وَلَوْلَا أَنّ أَهْلَك أَخْرَجُونِي مِنْك مَا خَرَجْتُ»

ولا غرو فقد قالت الحكماء: الحنين من رقة القلب، ورقة القلب من الرعاية، والرعاية من الرحمة، والرحمة من كرم الفطرة، وكرم الفطرة من طهارة الرّشدة، وطهارة الرّشدة من كرم المَحْتِد.

يقول أبو عمرو بن العلاءسيد القراء: مما يدلّ على حرية الرجل وكرم غريزته حنينه إلى أوطانه، وتشوّقه إلى متقدم إخوانه، وبكاؤه على ما مضى من زمانه.

وفي شاكلة هذا يقول الشاعر:

أحبُّ بلاد الله ما بين صارةٍ
إلى غطفان إذ يصوب سحابُها
بلاد بها نيطت عليّ تمائمي
وأول أرضٍ مسّ جلدي ترابُها

ويقول آخر:

ألا يا حبّذا وطني وأهلي
وصحْبي حين يُدّكَرُ الصّحابُ
وما عسلٌ ببارد ماءِ مُزنٍ
على ظمأ لشاربه يُشابُ
بأشهى من لقائكم إلينا
فكيف لنا به، ومتى الإيابُ

في العصر الأموي

لعل أشهر مقطوعة شعرية في الحنين إلى الديار قيلت في العصر الأموي تلك التي قالتها ميسون بنت بحدل الكلبية لما زفّت إلى معاوية فتشوّقت إلى البادية:

لبيت تخفق الأرواح فيه
أحبّ إليّ من قصر منيف
وأصوات الرياح بكل فجّ
أحبّ إليّ من نقر الدفوف
وكلب ينبح الطّراق عني
أحبّ إليّ من هرّ ألوف
وبكر يتبع الأظعان صعب
أحبّ إليّ من بغل زفوف
ولبس عباءة وتقرّ عيني
أحبّ إليّ من لبس الشّفوف
وخرق من بني عمي كريم
أحبّ إليّ من علج عليف

هذا وقد أدت كثرة الفتوحات في عهد الخلفاء الراشدين وما بعده إلى انتشار الناس في الأمصار المختلفة، ونتج عن ذلك أدب وشعر حن في الشعراء إلى أوطانهم، واشتكوا من فرقتها وفرقة أحبابهم فيها، فهذا هدبة بن خشرم يشكو بعدَه ويتمنى أن تحمل الرياح أخبار أهله وبلده:

ألاَ لَيْتَ الرِّياحَ مُسَخّراتٌ
لِحاجَتِنا تُباكِرُ أو تَؤُوبُ
فتُخْبِرَنا الشّمالُ إذا أتَتْنا
وتُخْبِرَ أهْلَنا عَنّا الجَنُوبُ
بِأنّا قد نَزَلْنا دارَ بَلْوى
فتُخْطِئُنا المَنِيّةُ أو تُصِيبُ

أما وضاح اليمن - الشاعر اليمني المشهور - فإن الشام على ما فيها من روعة وحسن وجمال لم تستطع أن تنسيه وطنه ومنازل أهله وحبّه :

أبت بالشام نفسي أن تطيبا
تذكرت المنازل والحبيبا
ألا ليت الرياح لنا رسولٌ
إليكم إن شمالاً أو جنوبا
فتأتيكم بما قلنا سريعاً
ويبلغنا الذي قلتم قريبا

وإذا أردت أن تقف على أطرف نص في هذا الباب، فاقرأ قول أحدهم وقد غادر وطنه، فإذا به يذكر حبيبته وهو في طريقه ولما يصل إلى غايته، فيكرّ راجعا إليها لا يلوي على شيء:

بينما نحن من بلاكث بالقاع
سراعاً والعيس تهوي هُويّا
خطرت خطرةٌ على القلب من
ذكراك وهناً فما استطعت مُضيّا
قلت:(لبيك) إذ عادني لك الشوقُ
ولِلحاديين كُرّا المطيّا

في العصر العباسي

لم تنخفض وتيرة التغني بالوطن والحنين إليه في العصر العباسي، بل ازدادت، وبرز مصطلح الوطن على نحو جليٍّ في أشعار الشعراء وأقوال الأدباء.

ولعل أيسر شعر قيل في هذا العصر فتغنى به الناس حتى سارت به الركبان، وغدا مثلا من الأمثال قول أبي تمام:

نَقّلْ فؤادَكَ حَيْثُ شئتَ منَ الهَوَى
مَا الْحُبُّ إلّا لِلْحَبِيبِ الأوّلِ
كم منزلٍ في الأرض يألفُه الفتى
وحنينُه أبداً لأوّل منزلِ

وأما ابن الرومي فله أبيات بلغ فيها الغاية في التغني بالوطن، يقول فيها:

ولي وطنٌ آليت ألا أبيعه
وألا أرى غيري له الدهرَ مالكا
عهدت به شرخ الشباب ونعمةً
كنعمة قوم أصبحوا في ظلالكا
وحبّب أوطانَ الرجال إليهم
مآربُ قضّاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكّرَتهمُ
عهودَ الصبا فيها فحنّوا لذلكا
فقد ألِفَتْه النفس حتى كأنه
لها جَسَدٌ إن بان غودر هالكا

ولا يمكننا أن نغفل ما قاله شاعر آخر في الحنين والشوق، وغلبة حب الوطن على كل شيء:

ولو فاز الغريب بملك كسرى
ونال من العلى أقصى مرادِهْ

لبات وقلبه في حرّ نار
لتربة أهله وهوا بلادهْ

في العصر الحديث

شهد العصر الحديث مرحلة الاستعمار والاحتلال التي شملت معظم الأقطار العربية، وما تبعها من ثورات ضد المحتل، ونفي واضهاد وإبعاد لكثير من أرباب الأقلام الحرّة والفكر الأبيّ.

وما أكثر ما تغنى الشعراء بأوطانهم، وحنوا إليها، ولا سيما أولئك الذين نفوا عنها، وعانوا من احتلال المستعمر لها واضطهادهم فيها.

ولنبدأ بأمير الشعراء أحمد شوقي الذي نفاه المستعمر الإنجليزي إلى إسبانية، فنظم قصيدة رائعة عبر فيها عن حبه لمصر وشوقه إليها وحنينه إلى مرابعها:

اختلاف النهار والليل ينسي
اذكرا لي الصبا، وأيام أنسي
وصفا لي مُلاوةً من شباب
صُورت من تصورات
ومسّ عصفت كالصبا اللعوب
ومرت سنةً حلوةً ولذة خلس
وسَلا مصرَ:هل سلا القلب عنها
أو أسا جرحَه الزمان المؤسّي؟
وهفا بالفؤاد في سلسبيل ظمأ
للسواد من عين شمس
شهدَ الله، لم يغبْ عن جفوني
شخصُهُ ساعةً ولم يخلُ حسّي

ولعل من أشهر هؤلاء الشعراء الذين تغنوا بوطنهم لبعدهم عنه الشاعر الشآمي المشهور خير الدين الزركلي صاحب كتاب الأعلام، الذي يقول بعد خروجه من دمشق هاربا من طغيان الاحتلال الفرنسي الذي حكم عليه بالإعدام:

العينُ بعدَ فراقها الوطنا
لا ساكناً ألفتْ ولا سكنا
ريانةٌ بالدمع أقلقَها
أن لا تُحسّ كَرى ولا وَسَنا
كانت ترى في كُلِّ سانحةٍ

حُسْناً ، وباتتْ لا ترى حَسَنا
والقلبُ لولا أنّةٌ صَعدَتْ
أنكرتهُ وَشَكَكْتُ فيه أنا
ليتَ الذين أُحبُّهمْ عَلموا
وَهُمُ هُنالك ما لقيتُ هُنا
ما كنتُ أحسَبُني مُفارقَهُمْ
حتّى تُفارقَ روحي البدنا
يا موطناً عَبثَ الزمانُ به
مَن ذا الذي أغرى بكَ الزّمنا

إلى أن يقول:

إنّ الغريبَ مُعَذّبٌ أبداً
إن حَلّ لَمْ يَنْعَم وإن iiظَعَنا

ولأستاذنا الدكتور أمجد الطرابلسي - الذي قضى شطرا من عمره مدرسا في جامعات المغرب بعد أن كان أستاذا في كلية الآداب بجامعة دمشق ثم صار وزيرا للمعارف - أبيات يبدي فيها أنينه لبعده عن بلده، ويتحسر نادما على ما فعل عندما غادره، يقول فيها:

نأيتُ عن الدار لا عن قلىً
فأحلى مغاني الفتى دارهُ
ولكنني سرتُ يحتثّني
طموح الشباب وأوطارهُ
تخيّرت بُعدي ولو أنني
هُديت لما كنتُ أختارهُ

ولا يمكن أن يذكر حب الوطن وعشقه شعرًا وأدبًا دون أن يذكر عاشق الشام الذي فارقها ولم تفارقه، وبعد عنها ولم تبعد عنه، وعشقها وعشقته، أقصد نزار قباني، شاعر دمشق الأصيل وهو يقول:

آه يا شامُ كيف أشرح ما بي
وأنا فيك دائماً مسكونُ
سامحيني إن لم أكاشفك العشَ
فأحلى ما في الهوى التضمينُ
أهْيَ مجنونةٌ بشوقي إليها
هذه الشامُ أم أنا المجنونُ
لا تقولي نسيتَ لم أنسَ شيئا
كيف تنسى أهدابَهنّ الجفونُ
شامُ يا شامُ يا أميرةَ حبي
كيف ينسى غرامَه المجنونُ
رضيَ الله والرسولُ عن الشام
فنصرٌ آت .. وفتحٌ مبينُ

ولا ريب أن حب الوطن عندما يحوّلُ إلى عشق وهيام وغزل فإنه يرقى ويسمو، ويخالط أجزاءَ النفس لطافةً، والهواءَ رقّةً، والماءَ عذوبةً، والنغمَ الأصيل إيقاعًا وجرسًا ، وإذا أردت على قولي دليلا فدونك قصيدة الشاعر الدكتور عواد برد العنزي في الكويت:

نهَوني عن هواك فما انتهيتُ
وضجّ بي العذولُ فما انثنيتُ
وجئتُ يقودُني ظمأٌ وشوقٌ
ولولا عشقُ أرضك ما أتيتُ
وأبحرَ في ربا شعري اشتياقٌ
وفي عينيك يا حبي رسَيتُ
كتمتُ الحبّ في قلبي وروحي
ونمّتْ دمعتي فلذا حكيتُ
خشيتُ من الحسود وقولِ واشٍ
وهل ينجو من الحسّادِ بيتُ
يقول لي الوشاةُ كفاكَ عشقًا
فأهل العشق مهجورٌ وميْتُ
فقلتُ لهم بأني نسلُ حرّ
إذا ما خانَ أقوامٌ وفيتُ
وحبّي طُهْرُ غاديةٍ هتونٍ
لها أخلصتُ والواشي عصيتُ
أطرّزُ فوقَ نحرك كلَّ دُرّ
وأنثرُ كلَّ وردٍ قد جنيتُ
فأنتِ الحبُّ والطُّهرُ الموشّى
ومثلُ جمالِ طهرك ما رأيتُ
فإنْ أهلكْ بداءِ الحبّ حسبي
بأني قد عشقتُكِ يا كويتُ

مجلة العربي ديـــوان الثقافة العربية

د. خالد عزب

حينما حلت ذكرى مرور 50 عاماً على صدور مجلة العربي، كنت أصبحت أحد كتابها، بعدما كنت قارئا نهماً لها، عرفني عليها والدي رحمه الله مدرس اللغة الإنجليزية في مدارس الكويت حينما كنت فتى، وبعدما عدنا إلى مصر كنت أدخر جانبا من مصروفي الشخصي، لأقف عند متعهد الصحف والمجلات منتظرا وصولها لمدينتي الصغيرة لأحظى بعدد ألتهمه صفحة صفحة، تعلمت وعرفت من مجلة العربي الكثير، وحينما أصبحت شابا حاولت أن أكتب لها، إلى أن بدأت تنشر لي على يد صديقي الدكتور سليمان العسكري الذي أتاح لي فرصة التواصل مع المجلة، بل من باب الوفاء سعيت لأن تقيم مكتبة الإسكندرية احتفاء بأهم مجلة ثقافية عربية هي مجلة العربي وأطلقت عليها «ديوان الثقافة العربية».

نشأة المجلة العربي

تنتمي مجلة العربي إلى نوعية المجلات الثقافية، وهي المجلات التي تسهم في تعميق الوعي الثقافي للقارئ من ناحية، ووضع هذا القارئ -من ناحية موازية- في حال من الاتصال الفعّال بكل توجهات ثقافة عصره وإبداعاتها المختلفة، وهي بذلك تصل بين المعارف المختلفة والإبداعات المتباينة التي تجاوز التخصص بمعناه الضيق، وتصل بين المعارف المختلفة والإبداعات المتباينة التي تجاوز الآداب إلى الفنون. ولعل من أهم المجلات الثقافية التي صدرت في القرن التاسع عشر: مجلة «مرآة الشرق» التي أصدرها اليازجي مع أمين ناصيف في السادس من إبريل عام 1882، ومجلة «روضة المدارس» التي أصدرها علي مبارك في السابع عشر من إبريل عام 1887، ومجلة البيان التي أصدرها عبد الله نديم في مطلع مارس عام 1897.

والهدف من إصدار المجلات الثقافية هو القضاء على عصر الجهل وأحوال التخلف في الوطن العربي، والذي نال من تقدمه وتطوره على كافة المستويات والمجالات.

ولدت فكرة إصدار مجلة العربي من رحم الجريدة الرسمية «الكويت اليوم» التي صدرت في عام 1954. ففي النصف الثاني من تلك السنة شهدت الكويت نقلة نوعية كبرى من الناحية الإدارية بهدف وضع أسس بناء الدولة الحديثة، خاصة بعدما غدا النفط المتدفق مورداً مالياً كبيراً يسمح ببناء البنى التحتية وإقامة المؤسسات التي تخدم المجتمع الكويتي.

وعلى هذا الأساس أصدر الشيخ عبد الله السالم الصباح أمير دولة الكويت آنذاك مرسوماً بتشكيل «اللجنة التنفيذية العليا» تحت إشرافه المباشر، وتكونت من الشيخ جابر العلي الصباح، والشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، والشيخ خالد العبد الله الصباح، والسيد أحمد عبد اللطيف مدير المالية، والسيد عبد اللطيف إبراهيم النصف، والسيد عزت جعفر، وبسكرتارية كل من أحمد السيد عمر، وحامد يوسف العيسى.

ففي الثالث عشر من ديسمبر عام 1954 التقت أسرة تحرير جريدة الكويت «الكويت اليوم»:

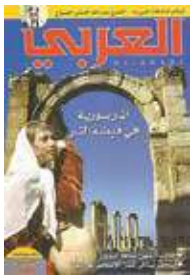

طلعت الغصيني، وبدر خالد البدر، والسيد فاضل خلف؛ حيث تم بحث موضوع إصدار ملحق أدبي تابع لإدارة الجريدة الرسمية. وظلت فكرة الملحق الأدبي هذه تتفاعل على مرور الأيام وتتطور لكن ببطء. وفي الخامس من فبراير عام 1955 صدر قرار من اللجنة التنفيذية بإنشاء دائرة المطبوعات والنشر وتعيين بدر خالد البدر مديراً عاماً لها، حيث كان له الدور الأكبر في إنشاء مطبعة «حكومة الكويت»، وقد أخذ على عاتقه تأسيس تلك المطبعة بما استلزمه ذلك من شراء للآلات وإرسال بعثة إلى المطبعة الأميرية بالقاهرة للتدريب على فن الطباعة. وعقب افتتاح المطبعة في شهر أكتوبر عام 1956 بالتزامن مع انتقال أحمد السقاف من دائرة الأوقاف إلى دائرة المطبوعات والنشر كنائب للمدير عام 1956، وتخصيص قسم من المطبعة لطباعة الألوان، عاد موضوع إصدار مجلة أدبية يلوح في الأفق، وبدأ المسؤولون في دائرة المطبوعات في استشارة من كان يزور الكويت من الصحافيين، والأدباء، والناشرين، وموزعي الصحف، بعد أن يوضحوا لهم الهدف من إصدار مثل هذه المجلة، وهو لتلافي النقص الظاهر في الصحافة العربية من مثل ذلك النوع من المجلات بعد أن اختفت من الميدان مجلات لها وزنها الأدبي والعلمي مثل المقتطف، والرسالة، والثقافة.

ولتنفيذ ذلك قامت دائرة المطبوعات باستدعاء الدكتور إبراهيم عبده من القاهرة للعمل كخبير لهذه الدائرة بهدف إدخال التنظيمات والتعديلات المختلفة، وقد رأت هذه الدائرة أن تقدم مشروعاً لإصدار مجلة شهرية عربية.

ونشرت جريدة «الكويت اليوم» في العدد السبعين الصادر في الحادي والعشرين من إبريل عام 1956، تقريراً جاء فيه أن دائرة المطبوعات والنشر تنوي إصدار مجلة للآداب والفنون، والعلوم، تأسيساً على ما تقوم به الدوائر المماثلة في كثير من الأمم المتحضرة بغية المساهمة في النشاط الفكري العام وإبراز الملكات المحلية... ولما كانت دائرة المطبوعات والنشر قد جعلت من رسالتها الاضطلاع بكل ما من شأنه أن يُعْلي من قدر الكويت ويضيف إلى رصيد نهضتها، ولما كان في الكويت نخبة من الشباب المثقف سواء من الأهالي أو من العرب القاطنين فيها تتشوف إلى صحيفة أدبية، وفنية، وعلمية تبرز على صفحاتها كفايتها وتسجل خواطرها، ولما كانت الدائرة تهدف أيضاً إلى إشراك أئمة الفكر العربي في سائر بلدان الوطن العربي في تحريرها، وتزمع توزيعها في الكويت وفي تلك البلاد، لذلك فقد كلفت دائرة المطبوعات والنشر الدكتور إبراهيم عبده في مهمته الأخيرة لمصر بمفاتحة كبار الكتاب والعلماء في المساهمة في تحرير المجلة المزمع إصدارها قريباً، وقد رحبوا جميعا بالفكرة وأعلنوا استعدادهم لتقديم جميع ما يطلب إليهم من موضوعات.

كما تذكر الصحيفة أن دائرة المطبوعات أرادت من ذلك إصدار مجلة أدبية، واجتماعية، وثقافية جامعة تضم بين صفحاتها من عصارة أفكار المفكرين، وخلاصة تجارب العلماء المبرزين، وروائع قرائح الشعراء المبدعين، ورسم إطار مستمد من أرقى التجارب الصحفية في العالم؛ يقوم على التبسيط والتشويق اللذين يضعان المعرفة في متناول الأكثرية الساحقة من القراء كما رؤي أن تكون للصورة مكانتها المرموقة في المقال. وللموضوعات المصورة مقامها الأول في كل عدد يصدر من المجلة.

من حسن الطالع أن يزور الكويت الصحفي اللبناني المعروف سليم اللوزي، ويحل ضيفاً على رئيس دائرة المطبوعات الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح في شهر نوفمبر عام 1957، وحين علم بمشروع المجلة زار مدير المطبعة وطلب منه أن يصمم له الماكيت الذي تخيله للمجلة، ثم زار الرئيس في مكتبه وأبدى استعداده للتعاون مع أحمد السقاف في إصدار العدد الأول على أن يتولى السقاف بعد ذلك الإشراف عليها، ولم يشأ الرئيس أن يعارض رأي سليم اللوزي، وطلب حضور أحمد السقاف إلى مكتبه في دائرة الشؤون الاجتماعية، والتقى اللوزي والسقاف معاً لمناقشة الفكرة بحضور رئيس دائرة المطبوعات والسيد نصف اليوسف النصف، ودار بينهم جدل حول فكرة اللوزي من تصميم لماكيت المجلة بالإمكانيات المتوفرة في الكويت آنذاك، حيث أكد السقاف أن مجلة بهذا الطموح يجب أن يُجلب لها رجال اختصاصيون من خارج الكويت «فإما مجلة تتحدث بذكرها الأجيال أو لا تكون»، وفي اليوم التالي غير اللوزي رأيه واقترح على الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح رئيس دائرة المطبوعات والنشر آنذاك وسمو أمير البلاد الحالي أن يحمل أحمد السقاف مسؤولية اختيار موظفي المجلة، وفي أواخر عام 1957 بدأ المسئولون في دائرة المطبوعات التفكير في اختيار الاختصاصيين لإدارة المجلة وعلى رأسهم رئيس التحرير؛ فتقرر في الرابع عشر من ديسمبر عام 1957 أن يسافر في جولة في البلاد العربية للبحث عن الشخص المناسب الذي تتوفر فيه الشروط اللازمة

لمثل هذا المشروع الأدبي الكبير، وبالفعل سافر إلى بغداد وقام بزيارة الأديب الكبير محمد بهجة الأثري كبير مفتشي اللغة العربية في مكتبه، وقد بارك مشروع المجلة ووعد بالكتابة لها والاستكتاب من أجلها ثم قصد جريدة الحرية فاستقبله السيد فيصل حسون الذي تحمس للفكرة وكتب عنه في اليوم التالي، وفي يوم السادس عشر من ديسمبر عقد أحمد السقاف اجتماعاً مع الدكتور يوسف عز الدين وزملائه في الكلية، وفي المساء عقدوا اجتماعاً في فندق السندباد حضره نخبة من أساتذة الجامعة على رأسهم الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور يوسف عز الدين، كما حضر مأدبة عشاء بمنزل القاضي فالح القصاب حضرها الأديب حارث طه الراوي، ودار حديث حول مشروع المجلة، والاسم المقترح لها فتداول الحضور ثلاثة أسماء كانت تدور في ذهن السقاف، وهي: الخليج العربي، والشاطئ العربي، والعربي.. كما طرح خلال هذا اللقاء اسمان لاختيار أحدهما لهذه المهمة الأدبية العلمية الثقافية الكبرى، هما: العلامة فؤاد صروف والعلامة أحمد زكي.

وفي صباح يوم الأحد التاسع والعشرين من ديسمبر عام 1957 غادر أحمد السقاف بيروت إلى القاهرة، وفي صباح اليوم التالي، اتصل هاتفيًا بالدكتور أحمد زكي وطلب لقاءه، فحدد له الساعة الرابعة من مساء اليوم التالي موعداً للمقابلة، ثم توجه إلى معهد المخطوطات العربية والتقى الدكتور صلاح الدين المنجد وكان في زيارته الدكتور محمد يوسف

د.احمد زكي أول رئيس تحرير لمجلة "العربي" يقف وراء أحمد السقاف مع جمع من المثقفين العرب عام 1958

نجم فتناقشا حول نشر وحسن اختيار المخطوطات موضوع النشر فأثنى على الفكرة، وفي المساء التقى الدكتور صلاح الدين المنجد والسيد أحمد السقاف واتفقا على البدء في اختيار ما يجب أن يتقدم على غيره في النشر.

وفي مساء يوم الثلاثاء الحادي والثلاثين من ديسمبر عام 1957، زار أحمد السقاف الدكتور أحمد زكي في منزله في المعادي، وامتد الحوار بينهما لمدة ساعة ونصف حول مشروع المجلة، كان خلالها الدكتور أحمد زكي متهيباً من ترك القاهرة والاستقرار في الكويت، فطلب من أحمد السقاف أسبوعاً للبت في العرض الذي قدمه السقاف برئاسة تحرير المجلة الجديدة، وفي مساء يوم الخميس الثاني من يناير عام 1958، زار السقاف الدكتور أحمد زكي فشرح له المشروع أكثر وأكثر، فوافق على أن يكون له الحق في الاعتذار في أي وقت يشاء، فخرج السقاف من منزله جذلاً مطمئناً.

وقد استغل السقاف المدة التي طلبها الدكتور أحمد زكي لبحث الأمر، وقام بزيارة المطابع الأميرية وفرع مطبعة ديكنسون اللندنية ومطابع أخبار اليوم، كما قام بزيارة دار الهلال لبحث شراء أرشيف منها وزيارة مطابعها.

وفي التاسعة من مساء يوم الرابع من يناير عام 1958، جاء الرد بالموافقة من قبل الدكتور أحمد زكي، فما كان من السيد السقاف إلا أن قام بإرسال برقية إلى رئيس دائرة المطبوعات والنشر الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح وإلى مدير المطبوعات السيد بدر خالد البدر المدير، نصها:

«صاحب السعادة رئيس دائرة المطبوعات والنشر، السيد مدير المطبوعات، الكويت، تم الاتفاق مع الدكتور أحمد زكي، البقية سيتم اختيارهم قريباً، مشروع المخطوطات أنجزناه، التفاصيل في كتاب مؤرخ 4 منه، السقاف».

كما تم الاتفاق مع الدكتور أحمد زكي على أن يكون راتبه أربعة آلاف روبية أو ثلاثمائة جنيه إسترليني، عدا الضرائب والامتيازات الأخرى.

كما زار السقاف مطبعة الجمهورية وشاهد مصنع الزنكوغراف و«مكنة المان» الكبيرة التي تطبع أربعة كتب أو أربع صحف دفعة واحدة، وسرعتها مائتا ألف نسخة في الساعة، وثمنها مائة وعشرون ألف جنيه إسترليني آنذاك، كما زار مطبعة بنك مصر وشاهد خط التجليد بالبلاستيك والتجليد بالسلك اللولبي.

شارك الدكتور أحمد زكي، أحمد السقاف في جولاته، فزارا معا دار الهلال واتفقا على شراء أربعة آلاف صورة بألف جنيه، وفي اليوم التالي اجتمعا بأحمد الوردجي الذي رشحته المطبعة الأميرية كرسام للمجلة فوافق عليه، كما قام بزيارة مسبك الشرق لصناعة الحروف ومصنع زنكوغراف طوروس للوقوف على أسباب تأخر وصول أكليشيهات المصحف الشريف.

وفي يوم الثاني عشر من يناير عام 1958 زار أحمد السقاف كلاً من الأستاذ إحسان عبد القدوس، الذي أثنى على المشروع واختيار الدكتور أحمد زكي، والأستاذ طاهر الطناحي رئيس تحرير الهلال.

وفي يوم الأربعاء الموافق الخامس عشر من يناير عام 1958 زار السقاف الأستاذ حافظ محمود رئيس تحرير جريدة القاهرة والتقى عنده الأستاذ عبد الوارث كبير سكرتير التحرير، كما قام بزيارة الأستاذ مصطفى أمين في دار أخبار اليوم، وكان قد علم برغبة السقاف في التعاقد مع المصور أوسكار متري، والمخرج الفني سليم زبال فعاتبه برقة، فرد عليه السقاف بأن مصر تستطيع أن تجد البديل بسهولة.

وفي يوم الخميس الموافق السادس عشر من يناير عام 1958 التقى السقاف في الفندق مع كلٍّ من الأستاذ محمد البشلاوي كبير مصححي جريدة الشعب وفوزي أبو الحسن، وحسين وصيف، ومحمد علي أبو كبشة للعمل مصححين لتجارب الطبع وكلهم يعملون في جريدة الشعب، فاتفق معهم على العمل في المشروع.

وفي يوم الأربعاء الموافق السابع عشر من يناير عام 1958 زار السقاف كلاً من الأستاذ جميل عارف من مجلة آخر ساعة ومعه سليم زبال، وتم الاتفاق مع سليم زبال وأوسكار متري بصورة نهائية.

وفي صباح يوم الأحد الموافق التاسع عشر من يناير عام 1958 غادر السقاف -يرافقه كل من سليم زبال وأوسكار متري- إلى بيروت. وفي صباح اليوم التالي قصد دار العلم للملايين فاتصل الأستاذ بهيج عثمان بالأستاذ قدري قلعجي وكان قد أثنى عليه في القاهرة كل من: الأساتذة أحمد محمد نعمان، وعبد الله القصيمي، وحمد الجاسر، ومحمد محمود الزبيري؛ حيث وافق السيد قلعجي على تولي منصب سكرتير التحرير.

وفي فجر يوم الأربعاء الموافق الثاني والعشرين من يناير عام 1958، غادر السقاف بيروت عائداً للكويت، وأطلع المسؤولين - وخاصة الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح - على الاتصالات التي قام بها مع من قابلهم، وخاصة الدكتور أحمد زكي، وكلف بدر خالد البدر مدير دائرة المطبوعات بالكتابة للدكتور أحمد زكي لعرض وظيفة رئيس تحرير المجلة عليه رسمياً، حيث وجه إليه رسالة بتاريخ الأول من فبراير عام 1958، وجاء إليه الرد بالموافقة برسالة مؤرخة في الثاني عشر من فبراير عام 1958، كما تم اختيار سليم زبال مخرجاً، وأوسكار متري مصوراً، ومحمد حسني زكي، والرسام أحمد الوردجي، كما عين بعد ذلك المصور عبد الناصر شقرة.

في تلك الأثناء تخلف السيد قلعجي فما كان من السقاف إلا أن استغل فرصة وجوده في القاهرة وتعاقد مع السيد عبد الوارث كبير لسكرتارية التحرير، فحضر إلى الكويت وعمل مع المجموعة ليل نهار.

كما قام السقاف بعرض اسم الدكتور محمد السمرة على بدر خالد البدر مدير دائرة المطبوعات، وذلك للعمل نائباً لرئيس التحرير.

أما عن اسم المجلة فقد أجرت دائرة المطبوعات مسابقة لأنسب الأسماء ففاز بالجائزة النقدية مقترح اسم «العربي» .

وقد وضعت الخطوط العريضة لهذه المجلة وتحدد دورها من خلال الموضوعات التي نص عليها قرار إنشائها والذي صدر كوثيقة رسمية صادرة عن دائرة المطبوعات ونشرت بالجريدة الرسمية «الكويت اليوم» في عددها رقم 168 بتاريخ من مارس عام 1958/ العاشر من رمضان عام 1377هـ، وقد جاء نصه:

«رأت دائرة المطبوعات والنشر أن علينا واجباً ثقافياً يجب أن تضطلع به وتؤديه لسائر أبناء العروبة خدمة قومية مجردة من كل غرض أو هدف يفسد معاني الخدمة القومية الحقة، وقد ركزت دعائم هذا الواجب الثقافي في: إصدار مجلة علمية أدبية اجتماعية ثقافية جامعة تضم بين صفحاتها مع ما تضم عصارة أفكار المفكرين، وخلاصة تجارب العلماء المبرزين، وروائع قرائح الشعراء المبدعين، وفوق هذا وذاك تعني عناية خاصة بالمواضيع المصورة المدروسة دراسة علمية عن كل قطر من أقطار العروبة تتناول السكان والمحاصيل والثروات سواء أكانت هذه الثروات حيوانية أم نباتية أم معدنية أم مائية».

وقد رسم لهذه المجلة إطار مستمد من أرقى التجارب الصحفية في العالم قائم على التبسيط والتشويق، اللذين يضعان المعرفة في متناول الأكثرية الساحقة من القراء، وفي الوقت ذاته لا يفسدان السمو الذي يتعشقه الخاصة منهم، كما رؤي أن تكون للصورة مكانتها المرموقة في المقال، وللموضوعات المصورة مقامها الأول في كل عدد يصدر من المجلة. وبعبارة أخرى فإن هذه المجلة ستعني بكل ما يمتُّ إلى الثقافة والمعرفة بصلة ولاسيما الأمور التالية:

· الأدب» بفنونه المختلفة من قصة، وشعر، وتراث إلخ... وبأنواعه: الأدب العربي القديم، الأدب العالمي لمصر، والأدب العربي الحديث باتجاهاته ومدارسه المختلفة.

· الفنون: أبحاث عن الفنون المختلفة في النطاق العربي وغيره: الموسيقى، والسينما، والمسرح، والإذاعة، والرسم.

· المشاكل الاجتماعية: نوع من المعالجة الموضوعية العلمية الجريئة بقدر الإمكان للمشاكل الاجتماعية في المجتمع العربي.

· الموضوعات المصورة: لمختلف أنحاء الوطن العربي تتناول قبائله ومراعيه، وغاباته، وحيواناته، وثرواته الزراعية، والمعدنية، والمائية وجباله، وسهوله، ووديانه إلى غير ذلك منا يجب على القارئ العربي أن يعرفه.

· العلوم: -1مقالات لأهم ما يثير اهتمام العالم اليوم كالذرة والصواريخ، والأقمار الصناعية، والفضاء الخارجي، والأجرام الكونية.

-2 أنباء علمية لأهم الاختراعات والاكتشافات في شتى ميادين العلم.

· نقد الكتب: نقد وتعليق وتقديم لأهم الكتب المؤلفة في كل شهر.

· الاقتصاد: مقال اقتصادي واحد على الأقل.

· نشر لوحات فوتوغرافية: أو مرسومة تصور جانباً من الحياة العربية.

العدد الأول من مجلة العربي

اكتمل الاستعداد لإصدار المجلة في أواخر عام 1958، حيث صدر العدد الأول منها شهر ديسمبر عام 1958/ جمادى الأولى عام 1378هـ، وقد طبع من هذا العدد الأول حوالي ثلاثين ألف نسخة وزعت في مختلف أنحاء الوطن العربي.

قسم هذا العدد إلى تسعة أقسام: القسم العام، واستطلاعات صحفية مصورة، وعلوم، وطب، وأدب، وقصص، ومتنوعات، وأسرة، وإذاعة ومسرح.

ما لِصوتٍ أغْلِقَتْ مَن دونَه الأسماعُ معنى!!

د. محمد مصطفى الكَنْز

العلم حياة، والحياة لا تسكن أبدان الموتى، والإقبال على العلم يكون بالروح لا بالجسد، فالروح شريفة والعلم نور

ما بالُكَ برجل يسير في الصحراء وحيدًا ينادي، هل لندائه معنى؟ أو بشيخ يخطُب بين المقابر؛ حيث (لا حياة لمن ينادي)، أو بشاعرٍ يُلقي قصيدة، والمستمعون يضعون (أصابعهم في آذانهم)؟! حينئذٍ تموتُ الكلمات، ويموتُ الشاعر، ويفقد الصوتُ معناه.

وإني لأعجبُ لصبر سيدنا نوح – عليه السلام – ومدى تمسُّكه بحمل رسالة الخير والحق والجمال، في حين كان قومه يغلقون من دونه الأسماع؛ اقرأ معي هذا الوصف المهيب الجليل، المملوء بروح الإصرار والمثابرة: «قال نوح ربِّ إني دعوتُ قومي ليلًا ونهارًا فلم يزدهم دعائي إلا فرارًا. وإني كلما دعوتُهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصرُّوا واستكبروا استكبارًا. ثم إني دعوتُهم جهارًا. ثم إني أعلنتُ لهم وأسررتُ لهم إسرارًا.....».

كم هو قاسٍ على الْمُصلِح أن يُعْرِض عنه مَنْ ينصحه، وأقسى منه أن يُغلِقَ السمعَ دونه، وليس هناك أغبَى ممّنْ يمنع الخير عن نفسه، ويقف في وجه من يمنحه إياه.

تذكرتُ قولَ سيدنا نوح – عليه السلام – وأنا واقفٌ بين طُلّابي، أدعوهم إلى الإنصات للشرح، ورأيتُ كيف أن المعلِّم يتودّد ويتلطّف، ويُلينُ الكلامَ، من أجل أن يَسْمعه الطلابُ، من أجل أن يُقدِّم لهم خير المعرفة وجمالها، وأَلَقَ العلم وروعته، ورغم ذلك يُعرضون عنه.

إن العلم حياة، والحياة لا تسكن أبدان الموتى!! ولا شك أن الإقبال على العلم يكون بالروح لا بالجسد؛ فإن الروح شريفة والعلم نور، ولا يليقُ بالنور إلا الشريف؛ ألا ترى أن الروحَ تصعد إلى بارئها، وكفى بذلك شرفًا، بينما يعودُ الجسدُ إلى مُستقرّه من الأرض؟!

لكن ما نراه اليوم من طلاب المدارس والجامعات انتكاسة عجيبة، لقد استدار الزمن، وصار المعلمون يرحلون إلى الطلاب، وقد كان طلاب العلم في عصور النهضة يرحلون إلى العلماء؛ من القاهرة إلى بغداد إلى الأندلس إلى دمشق، وغيرها من حواضر العلم آنذاك، ومنهم – دون بلوغ غايته – مَن كان يموت في الطريق ، أو تفترسه سباع الأرض ووحوشها، أو يقع صيدًا لقُطّاع الطرق، ورغم ذلك لم ينهزموا، بل كانوا يواصلون طريق

الطلب، ويكابدون الأهوال من أجل العلم.

وهذه الأحداث يجهلها أكثر طلابنا اليوم؛ لأن صلة أبنائنا مقطوعة عن جذور آبائهم وأجدادهم، وإن حُكِيَتْ لهم، فما هي إلا قصص من نسج الخيال، تتنزّل على قلوب لاهية، فلا تتجاوز الآذان، وما لصوتٍ أُغلِقتْ من دونه الأسماعُ معنى!!

وما زلتُ – كلما تأمّلتُ طلابي– أنظر إليهم بعينين مملوءتين ألمًا، متسائلًا: أهؤلاء مَنْ سيعيدون بناءَ حضارتنا؟! كيف ذلك وهم حُطَام؟! وتارةً أنظُر للمُعلِّمين– وقد حادوا عن روح رسالتهم، وخَبَتْ جذوةُ العلم في قلوبهم– قائلًا: أهؤلاء من سيسلِّمون أبناءنا مِشْعلَ المجد؟! كيف ذلك وهم لا يُؤرِّقهم هَمُّ المعرفة، ولا يناضلون من أجلها؟! بل إذا رآني أحدهم مهتمًّا لقضيتي التي أنافح دونها، قال لي: هوِّنْ عليك، (فأنت تنفخ في رماد)، وهكذا يتقلّبُ من يحمل رسالة العلم بين طالب ضائع، ومعلِّم مُثَبِّط!!

إن كثيرًا من أساتذة الجامعات الذين يشار إليهم بالبنان أصبحوا ينظرون إلى العلم على أنه وظيفة لا رسالة، مكانة اجتماعية لا قضية يحملون همّها!! بل إن منهم من يسطو على جهد الآخرين، أو يبتاعه (بثمن بخس)؟ ومنهم أساتذة يعلِّمون أبناءنا العربية، وإذا تحدّث فكأنه أعجميٌّ، لا يقيم جملة واحدة على الجادّة، فماذا إذن سيقدم الأستاذ لطلابه؟ وماذا سيعطي الآباء للأبناء؟ وأصل (العود أعوج)؟ لقد كان الرابضون على ثغور العلم من قبلُ إما علماء وإما أدباء، فآمنتِ الرعيةُ حينئذٍ بنبوّة العلم.

والقائمون على التعليم اليوم – في وزارات التربية – مشغولون خارج إطار المعرفة الحقة – بعيدًا عن روح العلم وصفائه – بالنظريات التربوية، التي يلعن بعضُها بعضًا، وكلما جدّتْ نظرية جعلوا أبناءنا حقولَ تجارب لها، بحجّة التطوير والتحديث.

كما أن القائمين على وسائل الإعلام – خاصة المرئية والمسموعة – مشغولون ببرامج التسلية والترفيه، أما العلم والعلماء فآخر شيء يفكرون فيه، حتى المعلومات التي يقدمونها فهي أشبه بمعلومات المقاهي والشوارع.

إن مجتمعاتنا رغم حديثها المتكرّر عن أهمية العلم، إلا أن الأمر لا يتجاوز الشفاهَ، فلم يَنْبُتْ مذاقُه في القلوب، ولا طَعمُه في الحلوق .

وطالب اليوم يسعى إلى المدرسة أو الجامعة وهمُّه الأول هو الحصول على (الشهادة) التي تمكّنه من العمل، أو الزواج، أما العلم فهو آخر شيء يفكر فيه؛ إنه يمثِّل له نَصَبًا وإرهاقًا، وقد كان لمن قبله لذةً ومتعة .

إن ربط (الشهادة الدراسية) بسوق العمل أفسد العلم، وجعل قاعة الدرس مجمعًا للصالح والطالح، الراغب في العلم وغير الراغب فيه، الذي يختاره بإرادته والذي يُجْبَر عليه، الذي يطلبه لذاته، والذي يتخذه مطيّةً لمنصب أو سلطة، وإنّ (خلائق السفهاء تُعْدِي)، كما يُعْدي البعيرُ الأجربُ باقي الإبل!!

كان الرابضون على ثغور العلم من قبل إما علماء وإما أدباء، فآمنت الرعية حينئذ بنبوة العلم

وإذا كان الأمر بهذه الصورة، فلا نستغرب للحال التي وصلتْ إليها أُمّتنا، وقد كان قَدَرُنا الأصلي أن نكون قدوة للبشرية؛ لأن دور المسلم الحق هو قيادة العالم،.

ولا بدَّ أن صرنا أرقامًا لا معنى لها، وحلقات باهتة في سلسلة طويلة ضعيفة، لا لون لها ، ولا طعم ، ولا رائحة، نأتي للحياة لنأكل ونشرب ونلهو، ثم نحصل على (شهادة) ثم عمل ثم زواج ثم أولاد ثم موت، إنها حياة خالية من المعاني الإنسانية التي هي في الأساس خلافة الله في الأرض، حياة خالية من الأهداف والطموحات، خالية من الأمنيات والآمال، ولقد ذمّ المولى – تعالى– الذين يعيشون ولا معنى لحياتهم، وصفهم فقال: (يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام).

لقد حفظ لنا التاريخ أسماء مَنْ صنعوه، ونسي ملايين من البشر عاشوا وهم أموات، ثم ماتوا دون أن ينتبه أحد إلى موتهم، وكم ضاعت عبر الزمن أمم وشعوب، وأناس كثيرون كانوا غثاء، لكنه لم ينس – مثلًا – أبا حنيفة ومالكًا والشافعي وأحمد والخليل وسيبويه والرازي والغزالي وغيرهم.

إننا بحاجة إلى أن نربط أبناءنا بعلمائهم، وبتراث أجدادهم؛ لأن الذي لا يعرف ماضيه، لن يعرف حاضره، ولن يعرف مستقبله، ولن تكون له جذور راسخة تشدُّه، فتعصف به الريح أنّى توجّه.

وإن تَعْجبْ فَعَجَبٌ أن يُساق الطلاب إلى قاعات الدرس، وأن يُدفَعوا إليها دفعًا، (كأنما يساقون إلى الموت)، إن قاعة الدرس تُمثِّل له سجنًا، يتوقُ إلى الفكاك من أَسْره، وقد كانت قبلُ روضةً من (رياض الجنة)، وهل يُدْفَع المرء إلى الخير؟! إن البهائم – فحسب – هي التي تُدْفَع إلى أن تَرِدَ الماء ، وتُدْفَع إلى منابت الكلأ، وتُدْفع إلى حظائرها، هي لا تعرف أين الخير ، فَتُوَجّه إليه.

وأشدُّ عجبًا من ذلك أن يُسكِّت المعلمُ الطلابَ من أجل أن يستمعوا إليه، ويجتهد في طرق إسكاتهم، وترويضهم وترضيتهم، ومن أي السبل يصل إلى عقولهم، ويَتحيّن وقت إنصاتهم ليعرض لهم ما عنده، كل هذا من أجل أن يعطيهم الخير والعلم والمعرفة!!!

وكأني بالشاعر إيليا أبي ماضي يُشكِّل هذا المشهد بمفارقاته المبكية، كما شَكَّل القرآنُ العظيمُ من قبلُ مشهدَ سيدنا نوح – عليه السلام – مع قومه:

يا رفيقي أنا لولا أنتَ ما وقعتُ لَحْنا
هذه أصداءُ روحي فلتكنْ روحُكَ أُذْنا
ما لصوتٍ أُغلِقتْ من دونه الأسماعُ معنى

ورغم أن طالب اليوم ينال كل صنوف الرعاية والاهتمام، ويقضي أغلب يومه الدراسي في جو علمي مريح، إلا أنه إذا ذهب إلى البيت، وأراد المذاكرة، انهزم من أول جولة، إذا صادفته مسألةٌ صعبة استرخى لها، وسقط أمامها أرضًا، وخارت عزيمتُه، فيغلق دونها الكتاب، ويتركها بلا رجعة.

إن الترف إذا لم يُحْسَن استغلاله فلن ينتج رجالًا، بل مسوخًا مُشوّهة، ليست الأمة بحاجةٍ إليها؛ لأنها مُتْخمةٌ بالمسوخ، فَحُقّ لهذا الخير الذي أفاء اللّه علينا أن نطوِّعه لإعادة حضارتنا الضائعة.

لقد عشتُ أنا وأبناءُ جيلي دهرًا نتوقُ إلى العلم، حين لم يكن يتيسّر لنا مثلُ ما يتيسّر لأبناء اليوم من متاع الدنيا وزهرتها، وما زلتُ – ونحن في طراءة العمر – أذكر أوقاتَ الطلب، كأنها رأي العين؛ كانت المدرسة في بلدة مجاورة، نقطع الطريق إليها سيرًا على الأقدام، حتى اهترأت النعال، وتشققت الأقدام، تحت قيظ الشمس تارة، أو زمهرير البرد تارة أخرى، كنا نسيرُ في أسرابٍ كأسراب الطيور المهاجرة، نتجاذب أطراف الحديث حينًا، ونَتَعاطى أبياتَ أبي القاسم الشابّي حينًا آخر:

إذا مَا طَمحْتُ إلى غايةٍ رَكِبتُ المُنَى ونَسيتُ الحَذرْ
ولم أتجنب وعور الشِّعاب ولا كبّة اللهب المستعرْ
ومن يتهيّبْ صُعودَ الجبالِ يَعِشْ أبَدَ الدّهرِ بَينَ الحُفَرْ

وإذا جاد علينا الزمان يومًا، وركبنا سيارة، فقد كنا نُحْشر فيها حشرًا، وإن أَنْسَ لا أنسى المذاكرة أيامَ الشتاء القارس، وقدماي عالقتان في الأرض قد امتزجتا بالصقيع المتصاعدِ من جوفها، والقوم حولي نيامٌ تتصاعد أصواتهم مغرية بالنوم تارة، ويأتي صوت التلفاز من بيت أحد الجيران مغريًا بمشاهدته تارة أخرى، ويتنامى إلى سمعي عبر هدوء الليل صوت الغناء المنبعث من أحد أعراس بلدتنا، مغريًا إياي بالخروج والسمر تارة ثالثة، وهكذا تتوالى عليّ الإغراءات، وأنا أقلِّب دفاتري بين المسائلِ الصعبةِ، والدروسِ المعقّدة التي لا حيلة أمامي إلا أن أفهمها، وإلا فالويلُ إذا ما وقفتُ بين يدي المعلم، وحاسبني حسابًا سقطتْ من معجمه كل ألفاظ الرحمة والمغفرة، ماذا أقول له إذا اعترتني بين يديه (هِزّةٌ كما انتفض العصفور بلّله القطر)، كيف سأنجو من استئساده عليّ؟ وأيةُ سبيلٍ ستنقذني

القائمون على التعليم اليوم مشغولون بالنظريات التربوية التي يُلغي بعضها بعضًا، وكلما جدت نظرية جعلوا أبناءنا حقول تجارب لها

من الجحيم المعلّق على رأسي؟ ورحم اللّه شيوخنا وأساتذتنا؛ فقد غرسوا فينا حب المعرفة، وعلمونا كيف نكون رجالًا، وكانوا قبل أن يعلمونا قواعد العلم، يوقظون فينا الإنسانية، ويذكروننا أننا بشر نحيا، لقد كانت قسوتهم بلسمًا يشفي جراحنا، ولولاهم ما كُنّا.

وإذا جاء وقت المذاكرة، كان مَنْطِقنا: (تعبٌ قليل يُعْقِبُ سعادةً كبيرة)، فكنا نبذل للعلم أجسادنا، ونمنحه نورَ أبصارنا، ونحني له ظهورنا، وله تُبْرَى أصابعُنا، جالسين على الأرض، أو على آرائك من الخشب اليابس الخشن، إذ لم تكن لنا تلك الفُرُشُ الوثيرة، ولا المضاجعُ الدافئة، وأمام هذه الصعوبات لم ننهزم؛ إن الهزيمة كانت تعني لنا الموت، بل إقصاءنا من الوجود!!

أما الذين انهزموا من أقراننا، فما زالوا منهزمين إلى الآن أمام أنفسهم، وأمام مجتمعهم، وكلما سافرتُ إليهم في إجازتي، أجدهم يندُبون الزمان تارة، ويعيبون حظّهم العاثرَ تارة أخرى، ويلعنون القائمين على البلاد تارة ثالثة، وهؤلاء أغبياء؛ لأنهم يظنون أن قوّة خفيّة ستأخذ بأيديهم إلى القمة، وأن شيئًا مجهولًا سيأتي يومًا ما يحقّق آمالهم، إنهم يعلِّقون حياتهم على وَهْم خادع، وسراب زائف، ناسين أنه في معترك الحياة، لا يلتفتُ أحَدٌ إلى أحد، لكنها الأحلام المؤجّلة، ثم تموت مع المرء حاجاته!!

الهويـة و الاغتـراب

غـيـاب الاعـتـراف المطلوب أو نـسيانـه تجـاه الآخـريـن وهـويـاتـهـم يـولـد الاغـتـراب

د. الزواوي بغوره

لا يخفى على أحد ما تعانيه و تواجهه الهوية المعاصرة من مشكلات و تحديات و أمراض في بعض الأحيان، و من هذه المشكلات ما يصطلح عليه بالاغتراب، فما معنى الاغتراب، ما علاقته بالهوية؟

تحيل المعاجم العربية القديمة و الحديثة كلمة الاغتراب إلى الغربة، و النوى، والبعد، و الذهاب، و النزوح عن الوطن. و يفيد الأصل اللاتيني لكلمة الاغتراب أو الاستلاب (alienation) التحويل، و بخاصة تحويل شيء ما ليصبح ملكية شخص آخر. كما تعني الانتزاع و الإزالة، و انتقال الملكية. فعندما تنتقل ملكية شخص ما إلى شخص آخر، تصبح تلك الملكية غريبة عن الشخص الأول. كما تدل على حالة العلاقة بين الأشخاص الذين كانت تجمعهم الصداقة ثم أصبحت فاترة أو محدودة أو منقطعة. و أخيرا، فإن كلمة الاغتراب تدل على المرض الذي يصيب النفس و يلحق بها التصدع، وغياب الوعي، و هو ما يعني اكتساب الكلمة لدلالة طبية و نفسية لا تزال تستعمل في عمليات التشخيص النفسي.

ليس هذا التعدد اللغوي إلا وجها من وجوه التعدد الذي يغلب على استعمال هذه الكلمة في المجال الفلسفي و الاجتماعي، و بخاصة عندما تحولت إلى مصطلح و مفهوم فلسفي واجتماعي وسياسي ميز تاريخ الفلسفة الحديثة و المعاصرة ، و مجموعة من العلوم الإنسانية على رأسها علم الاجتماع و علم النفس،و تحديدا التحليل النفسي.

فقد استعمله الفكر اللاهوتي المسيحي للدلالة على الانفصال بين الإنسان الحديث و بين الله، وذلك بحكم العمليات التي شهدها المجتمع الحديث، و منها عمليتا العلمنة و العقلنة أو ما سماه ماكس فيبر بعمليات نزع الغلالة السحرية عن العالم. و استعمل من قبل فلاسفة العقد الاجتماعي في القرنين السابع عشر و الثامن عشر أمثال هوبز، و لوك، و روسو ، للإشارة إلى ضياع و فقدان ما سموه بالحرية الأولى أو الأصلية التي كان يتميز بها الإنسان في المرحلة الطبيعية مقارنة بالمرحلة الاجتماعية أو السياسية، و كذلك إلى وضعية تنازل الأفراد عن بعض حقوقهم للجماعة كما يقتضي ذلك العقد الاجتماعي.

و لكن الذي صاغ الاستعمال المفهومي للاغتراب هو الفيلسوف الألماني هيغل في القرن التاسع عشر،و ذلك في كتابه المعروف: فينومينولوجيا الروح. و لقد استخدم كلمتين للدلالة على الاغتراب. الكلمة الأولى هي(Entfremdung) أي ما يجعل الشيء غريبا ، والأخرى هي (Entauss-rung)أي ما يجعل الشيء خارجيا أو خارجا عن الذات. و يكمن الإسهام الأساسي لهيغل في حديثه عن (عالم الروح المغترب عن ذاته) الذي يتميز بالانفصال بين العالم الواقعي الفعلي و بين عالم العقل أو المثال أو الفكرة بوصفها ماهية العالم الواقعي، وبخاصة بين الفرد و المجتمع و الدولة والثروة. فكل عنصر من هذه العناصر مغترب عن العناصر الأخرى. و يعتبر النسق الفلسفي الهيغلي، محاولة لإعادة العلاقة بين هذه العناصر، وذلك من خلال المنطق الجدلي.

ويستعمل مفهوم الاغتراب في مجال علم النفس، وتحديدا في التحليل النفسي. ويعتبر اريك فروم من أوائل العلماء الذين اهتموا بهذا المفهوم، وذلك انطلاقا من نظرية فرويد التي ترى أنه إذا كان على الإنسان أن يختار بين عالم الطبيعة وبين عالم الثقافة، فإنه لا يستطيع أن يستفيد من الضمانات التي تقدمها الحضارة ما لم يتخل عن أجزاء أو عناصر من طبيعته، وبخاصة تلك العناصر المتعلقة بغرائزه وأهوائه(pulsions). واعتمادا على هذه القاعدة العامة، ذهب

اريك فروم في عدد من أعماله، وبخاصة في كتابه: التحليل النفسي للمجتمع المعاصر، إلى ضرورة إيجاد نوع من الترابط بين التحليل الماركسي للاغتراب الذي يتحدد بواقع المجتمع الرأسمالي والتحليل النفسي الذي يعاين الحالات الذاتية للاغتراب، بحيث خلص إلى أن الاغتراب هو شكل من أشكال التجربة التي يتعرف فيها الإنسان على نفسه بوصفه غريبا.

ولقد أسهمت الفلسفة الاجتماعية المعاصرة باعتبارها مجالا لا يكتفي بطرح القضايا كما تطرحها الفلسفة السياسية والأخلاقية التقليدية، وإنما يهتم أكثر بالعلاقة بين الاجتماعي والسياسي، وبأشكال الصراع التي تطبعهما، و بالممارسات الاجتماعية، وبخاصة تلك المتصلة بالفئات المهمشة مع البحث عن حياة اجتماعية كريمة. و إذا كانت هذه الفلسفة لها جذورها التاريخية في المجتمع الحديث الذي عرف ظاهرة الثورة، فإننا نستطيع القول أن مدرسة فرانكفورت قد شكلت قاعدتها الفلسفية وأفقها النظري في الوقت نفسه، وهو ما يظهر في أعمال الفيلسوف اكسيل هنيث الذي بين في كتابه: التشيؤ، مدخل إلى النظرية النقدية، جملة من العناصر يمكن إيجازها بالقول إن مفهوم الاغتراب يؤدي إلى حالة من التشيؤ التي تعني على الأقل أربعة أمور، أولها اختراق القيم الاقتصادية

الاغتراب حالات ومستويات ويظهر في الهوية في انقساماتها بين ما هو مطلوب وما هو قائم

لحياتنا اليومية، حيث تحول التعامل بين الأشخاص إلى التعامل بين الأشياء الفاقدة للإحساس والعواطف. و ثانيها،ما تؤكده الدراسات الاجتماعية والنفسية من أن الأفراد يميلون إلى التعبير عن مشاعر و عواطف انتهازية إلى درجة تصديقها فعليا وكأنها عواطف ومشاعر أصيلة في شخصيتهم. ويظهر الأمر الثالث في ما نقرؤه في مجال فلسفة الأخلاق، وبخاصة ما تقدمه الفيلسوفة الأمريكية مارتا نوصبوم (Martha Nussbaum) حول الأشكال القصوى للتعامل الأداتي مع الأشخاص الآخرين، بحيث لا يتم التعامل مع الآخرين وفقا لصفتهم الإنسانية، وإنما كأشياء خالية من الإحساس، أي كسلع. و الأمثلة التجريبية على ذلك ظاهرة وبينة، ومنها: الأمهات البدائل، وتسليع العلاقات العاطفية، والتطور الاستثنائي في صناعة الجنس. والأمر الرابع تكشف عنه الأبحاث العصبية والذهنية ونتائجها الاجتماعية حيث يتم التركيز على الجانب الطبيعي، و تفسير الأفعال الإنسانية وفقا لمعطى الأعصاب ودورها في الدماغ متجاهلة المعرفة المكتسبة، وبذلك يتم معالجة الذهن الإنساني كآلة و كشيء. تؤكد هذه المعاني على اختلافها في نظر هنيث ما يصطلح عليه بغياب الاعتراف المطلوب أو إلى نسيان الاعتراف المطلوب تجاه الآخرين و هوياتهم.

ولقد اهتم الفكر العربي المعاصر بمفهوم الاغتراب في علاقته بالهوية، ومن المفكرين الذين درسوا هذا الموضوع نشير إلى المفكر المصري حسن حنفي الذي وقف عند بعض دلالات الهوية في علاقتها بالاغتراب، ومنها تأكيده على أن الاغتراب ليس حالة واحدة، وإنما يتميز بحالات ومستويات عديدة، وبها تتحد علاقته بالهوية التي تظهر في انقسامها على ذاتها، وفي حالات الصراع والنزاع بين الهوية القائمة و الهوية المطلوبة، وبين هذه الهوية المبتغاة و واقع الاغتراب الذي يسم المجتمعات الحديثة سواء على المستوى الاقتصادي حيث تطغى القيم المادية،أو على المستوى الاجتماعي حيث تسود العلاقات الآلية، أو على المستوى الثقافي حيث تنتشر العلاقات النفعية على حساب العلاقات الإنسانية، و هو ما يؤدي إلى حالات من اغتراب الهوية تتمثل في الضياع أو الانطواء و العزلة، أو العنف و السخط، ومختلف الأمراض والأزمات النفسية التي تنعكس سلبا على المجتمع.

وعلى الرغم مما يثره مفهوم الاغتراب من مشكلات معرفية متعلقة بمدى دقته في الوصف والتدقيق، وهو في ذلك لا يختلف عن بقية المفاهيم الفلسفية والاجتماعية التي تتميز بتعدد المعنى والتوظيف والتأويل، فإنه يجب التشديد على أنه لا يمكن فصل مفهوم الاغتراب عن مفاهيم أخرى مثل التشيؤ أو الصنمية، والأصالة والهوية، والتحرر والاستنارة. وهذا يعني أن التحليل الموضوعي والنقدي لهذا المفهوم في علاقته بالهوية يحتاج إلى تحليل نسق من المفاهيم المترابطة والمتصلة بهذا المفهوم. وعليه، فإنه مهما كان الاختلاف في المعنى و التوظيف، فإنه لا يمكن إلا الإقرار بأن مفهوم الاغتراب يقوم بدورين متكاملين هما الوصف و النقد. وهذا يعني أنه على الرغم من الاختلاف بين التيارات و المدارس التي تستعمل الاغتراب في تحليلاتها، فإن المؤكد هو الطابع النقدي للاغتراب سواء من حيث التشخيص أو من حيث تقديم البديل. وبتعبير آخر، إن مختلف التأويلات تنحصر في وظيفتين الأولى تشخيص الحالات المرضية الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والثقافية، وعلى رأسها موضوع اغتراب الهوية، وتتمثل الوظيفة الأخرى في محاولة تجاوز تلك الحالة الاغترابية بتقديم بدائل مناسبة، وبالتالي العمل على بناء هوية متوازنة و فعالة وإيجابية.

بصمات في تاريخ الكويت

شهداء الكويت .. بطولاتهم وتضحياتهم

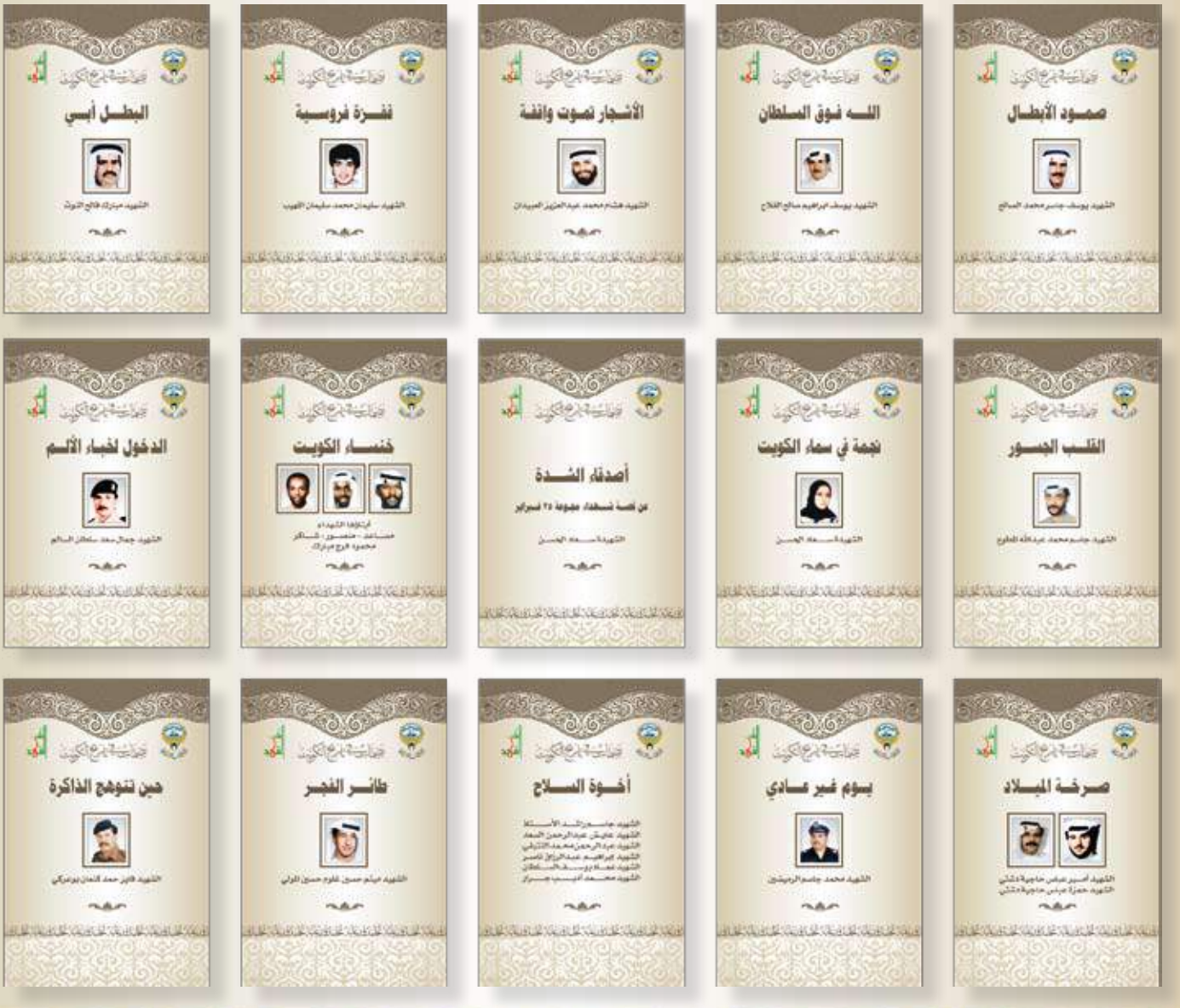

مكتب الشهيد - الديوان الأميري - ضاحية مبارك العبدالله - قطعة 7 - شارع 5
ص.ب: 28717 الصفاة رمز بريدي 13158 الكويت

martyrskuwait 1888101 www.martyr.com.kw